مَصرَعُ الشَّمسْ

وقصص أخرى

ترجمة : شوقي فهيم

www.liilas.com

florist

مكتبة هدنوى
القاهرة

www.alkottob.com

١٢٥
دار صادر

مصرع الشمس

وقصص أخرى

www.alkottob.com

مَصرَعُ الشَّمسِ

وقصصٌ أخرى

ترجمة : شوقي فهيم

الناشر
مكتبة مدبولي
القاهرة

www.alkottob.com

حي هادئ في بوينس آيرس

تأليف : ايزاوبل سترلنج

ترجمة : شوقي فهيم

www.alkottob.com

www.liilas.com
منتديات ليلاس

في بعض الأحيان كانت السيدتان الانجليزيتان اللتان ترتديان القبعات ذات الحافة العريضة والأردية البيضاء الطويلة ، كانتا تسيران مع الأطفال إلى الحديقة العامة الواسعة حيث تجلسان وترقبان الأطفال وهم يجرون على الحشائش أحياناً تكون إحداهما فقط ، دوروثي ، في صحبة الأطفال ، كانت تجلس وتقرأ خطاباً من انجلترا أو كتاباً بالانجليزية ، ودائماً وعلى بعد قليل منهما وفي مواجهة الخضرة أيضاً كان يجلس الشخص المعجب بهما الذي أصبح معروفاً لديهما باسم جراي «الرمادي» لأنه كان دائماً يرتدي ذلك اللون الهادىء ، بدلته رمادية ، قبعته رمادية ، حذاؤه رمادي وشعره أيضاً كان رمادياً . كان يراقب البنات الصغيرات بعطف ويحملق بامعان في السيدتين كأنه ينتظر بشغف أي علامة تدل على أنهما أحستا باهتمامه .

كان حياً هادئاً من أحياء مدينة بيونس أسمه بلجرانو منازله

www.alkottob.com

محاطة بالحدائق . وتزدان شوارعه بالأشجار على الجانبين . وفي الليل يضيء مصباح معلق عبر الشارع بين الفروع الممتدة المزهرة فتتراقص الظلال السوداء .

سارت دوروثي لتلقي بخطاب في صندوق البريد . وما أن اتجهت إلى الصندوق حتى فزعت حين رأت شبحاً يخرج من الظلام واقفاً بجوارها. كان « الرمادي » ممسكاً بخطاب ويرفع قبعته بأدب ، تمتم « سنيوريتا .. » ثم بدأ يخاطبها بالانجليزية بصوت عميق غريب . « أرجوك لا تتزعجي أعرف أنك انجليزية وأنا أحترمك أنت وصديقتك السيدة الانجليزية الأخرى أشد الاحترام . أرجوك لا تتزعجي » .

وبدلاً من أن يلقي بالخطاب الذي كان يمسكه في الصندوق بدا أنه يتجه ناحيتها . استدارت دوروثي جانباً بجفاء وأسرعت الخطى ، وكانت حافة قبعتها العريضة تهتز وهي تسير . كان الرمادي مهذباً ولم يحاول تتبعها ولكنها فكرت أنه من السخف أن يحملق فيهما هكذا في الحديقة والأسخف من ذلك أن يحاول أعطائها خطاباً من المحتمل أنه يحوي أموراً غير لائقة . لكن عليها أن تعترف أنه لم يكن سيء المظهر ، بل أن له جاذبية وإن كان يشوبها الحزن والذبول . وحين وصلت إلى البيت كانت وجنتاها تشتعلان وفكرت أن تضحك على هذه المقابلة مع ابنة عمها جوندولين ، أم الأطفال ولكنها غيرت رأيها ، ربما لأنها فكرت في أن زوج جوندولين سوف يغيظها .

وبينما هي تسير خلال حديقة البيت الأمامية المعبقة بشذى الأزهار والتي تحف بها فروع السوسن ، أمكنها أن تسمعه وهو يقرأ لزوجته بصوت مرتفع من أشعار تينسون ، وكانت النافذة مفتوحة ، « تعالي إلى الحديقة يا مود » .

بعد لحظات سيصعد إلى الطابق الأعلى ليلقي تحية المساء على ابنتيه الصغيرتين ويداعب ضلوعهما حتى تغشيان من الضحك .

حين ذهبت دوروثي إلى الحديقة العامة في المرة التالية وكان يوماً من أيام الصيف الأولى ، كان الوقت بعد الظهر وكانت الشمس مشرقة . ارتدى الأطفال ملابس قطنية جديدة مليئة بالثنيات ومن تحتها الجونلات البيضاء المنشاة .

جلست دوروثي في ردائها الأبيض تقرأ صحيفة انجليزية في ظل الشجر . خسائر فادحة في فيردن .. « ربما يرقد الآن في الجبهة شاب جميل وشهم مثخناً بالجراح والدماء تنزف منه ، يجب أن تعود لتسهم بما تستطيع ، تعمل ممرضة أو تفلح الأرض ، أو تعمل في مصانع العتاد الحربي . امتلأت عيناها بالدموع وهي ترفع بصرها عن الجريدة . لم يكن الأطفال أمامها ، وعلى مقعد مجاور جلس الرمادي بمفرده وهو يرمقها بنظرة حزينة . نهضت وسارت خطوات قليلة في اتجاهه وهي تنادي « ماري ! ايزوبيل ! » ثم استدارت عائدة إلى مكانها ، وفجأة اندفع الأطفال خارجين من دغل مزهر ، حيث كانوا يختبئون ، وهم يصيحون « بو » .

www.alkottob.com

قالت ماري :

من فضلك يا دوروثي هل يمكن أن نأخذ جريدتك لنصنع منها حدأة ؟

– بالطبع لا . فأنا لم أنته من قراءتها . العبي بالطوق ولكن لا تذهبي إلى الحشائش .

– وهل ستنتهين من قراءتها ؟ ..

– حسن . سنذهب في الاتجاه الآخر .

– سنرى .

ونرى من منا يعود إلى هنا أولاً .

وضربت ماري طوقها الخشبي الذي اصطدم برجل الرمادي. وقف والتقط الطوق وشكرته الفتاة بابتسامة « جراسياس سنيورا » فأجابها « دي ناداسنيوريتا » وهو يفكر « يا لها من فتاة صغيرة جميلة بساقيها النحيلتين ، كانت تضع على رأسها قبعة من القش حولها شريط ملون .

جرت وهي تدفع الطوق أمامها وشعرها الطويل الجميل يتأرجح على ظهرها تنبهت دوروثي إلى أن الرمادي شخص مهذب وتساءلت عما إذا كانت قد تسرعت في الحكم عليه . إنه يبدو بالفعل كجنتلمان ، وحين بدا أنه يطلب منها موافقتها أعطتها له حين ابتسمت نصف ابتسامة . نهض فوراً وجاء ليقف على مسافة منها . وألقت أوراق الشجر الخضراء

ظلالاً رقيقة على أنفها الدقيقة وعينيها الطويلتين السوداوين وعلى منحنى رقبتها البيضاء .

« هل أستطيع أن أجلس وأتحدث معك لحظة ؟ » .

– « حسن – للحظة » .

جلس الرمادي على أقصى طرف المقعد الخشبي . اني أعجب للغاية بكل ما هو انجليزي . ان الانجليز قوم منضبطون ، يحافظون على المواعيد ، واقعيون . ان السكك الحديدية ، والتليفون ، والترام كلها تعمل بكفاءة بواسطة البريطانيين ؟

– هل زرت انجلترا ؟

– أبداً . ولكني قرأت الكثير من الكتب الانجليزية .

– إنك تتحدث الانجليزية بطلاقة .

– إنه كرم منك أن تسمحي لي بالتحدث إليك .

ضاقت عينا دوروثي السوداوان حين سقط عليهما الضوء وألقت نظرة على يده المقعمة بالرجولة ، كانت يده ناعمة ونظيفة تستلقي على ظهر المقعد ، على مسافة منها .

– هل أنت كاتب ؟

غير من وضعه قليلاً وحرك يده علامة النفي ونظر بعيداً في حزن . لا . لقد اعتزلت منذ سنوات لأسباب صحية . صحة زوجتي . إن زوجتي مريضة .

– ولكن ماذا كنت تعمل من قبل ؟

www.alkottob.com

ـ الخدمة المدنية .

ـ أظن أنه يجب أن تذهب الآن لا أحب أن يراني الأطفال وأنا أتحدث إليك .

نهض ومر بجانبها ومشى بعد أن أخرج الخطاب من جيبه ورماه في حجرها .

وأخيراً ، في حجرة نومها الصغيرة التي تطل على حدائق المنازل المجاورة وبجاز صورة أخيها الوسيم في خوذته وبنطلونه الكاكي القصير ، فتحت خطاب الرمادي .

سيدتي الانجليزية العزيزة ..

أرجو ألا تظني أن في هذا الخطاب ما يمسك من بعيد أو قريب . فالحق أنه مضى وقت طويل منذ أن راودني الأمل في التعرف إليك وفي أن يكون بيننا حوار مهذب باللغة الانجليزية . ان زوجتي انجليزية ، وقد ولدت في هارتبول . ولسوء الحظ فإنها تلازم الفراش منذ سنوات عدة . وإنه لشرف كبير لي ولزوجتي لو تفضلت بزيارتنا وتناول الشاي معنا يوم الثلاثاء الساعة الرابعة والنصف . ولست مطالباً يا سيدتي بارسال أي رد لأني سأكون في البيت على أي حال في ذلك الوقت آملاً أن أن أسمع طرقاتك على باب منزلي . فهل ستخيبين أملي ؟ سيدتي .. إننا زوجين انطوائيين يرف علينا الحزن ولن تكون جلستنا حافلة بالنكات والضحك ولكن هل أرجوك يا سيدتي التحلي بالكرم والشهامة .

وأخيراً لك خالص التحيات .

ادجاردو فيلجاس

كان التوقيع واضحاً ولكن دوروثي القت الخطاب ومسحت أصابعها كما حطت شعرها وارتقت السرير تحت الناموسية واستلقت على مساندها الدافئة تفكر في الرمادي. هل أوشكت على الوقوع في حب الرمادي ؟

تذكرت الرمادي وهو يمر بالقرب منها بوجهه المحدد الملامح وشعره الرمادي وكانت هي وجوندولين تشعران بشيء من الغيظ وشيء من السرور لدى رؤيته . وسرت في أوصالها رعشة حلوة تحمل قدراً من الاحساس بالذنب وأغلقت عينيها مصممة على عدم التفكير في الدعوة حتى يوم الثلاثاء .

بعد ظهر يوم الثلاثاء كان الأطفال قد ارتدوا قمصان نظيفة مطرزة مشبتة بأزرار صغيرة . كانوا غاضبين لقلة هدايا عيد الميلاد التي كانوا يزمعون أخذها إلى الحفل وشكت أزوبل من آلام عصبية في جانب رأسها . ارتدت دوروثي أحسن فساتينها الحريرية وحذاء جميلاً وقبعة سوداء من القش بها شريط ينزل على وجهها . بعد أن تركت الأطفال في الحفل قررت أن تأخذ الترام إلى قلب المدينة حيث المتاجر الحديثة في بيونس ايرس ولكنها وجدت نفسها تسير في الطريق الذي تظلله الأشجار المسمى بطريق فيريز تبحث عن رقم ١٢٧٨ . ارتعدت قليلاً لأن الرمادي لم يطلب من جوندولين الذهاب معها . ولكن

www.alkottob.com

جوندولين لم تكن تستطيع أن تذهب معها لأنها مضطرة للذهاب إلى اجتماع جمعية الصداقة للفتيات في الأبرشية الانجليزية .

انتابها شعور بالارتياح لأنها لم تكن في عجلة من أمرها ، لأن جراي (الرمادي) كان هناك في انتظارها ، وربما كانت أعصابه مشدودة من جراء الانتظار كأوتار الفيولينه التي تنتظر لمسات العازف . سارت دوروثي بخفة وفي مخيلتها تتردد نغمات تانجو مرح .

كان البيت الصغير مختبئاً خلف أشجار النخيل القصيرة وشجيرات الدفلى المزهرة . كان ثمة اطار حديدي على الباب ذي الواجهة الزجاجية وجرس جذبته واستطاعت أن تسمع رنينه بالداخل . وسرعان ما سمعت دوروثي صوت خطوات وفتح جراي الباب . كان يرتدي بذلته الرمادية المعتادة وعيناه الرماديتان مليئتين ببريق الاهتمام والاعجاب .

— آه ، سينيوريتا — ،

— « دوروثي بلتون » .

— « سينيوريتا بلتون » . كان صوته عميقاً ، ورفع يدها إلى شفتيه وقال بلهجة أجنبية طريفة « أرجوك الدخول . إنه لمن حسن الحظ أن تجدي وقتاً لزيارتنا » .

— « كان رقيقاً منك أن تدعوني » .

وقادها إلى غرفة مواجهة كانت معتمة بسبب ستائرها

المسدلة وفروع أشجار النخل المورقة خارج النوافذ . رأت مجموعات من الكتب في أغلفة داكنة ، وكراسي ذات مساند مغطاة بالجلد الأسود ومنضدة فوقها صينية فضية عليها دانتيلا بيضاء ، وطاقم شاي من الفضة وطبق من البسكويت . وكان ثمة فنجانان إثنان .

— « لم تستطع زوجتي مغادرة الفراش كما تعرفين . نشرب الشاي هنا ثم نلحق بها » .

أحست دوروثي بشيء من الارتياح لأن السيدة فيلجاس لم تقدم لها بعد . وغاصت في أحد المقاعد الداكنة وحملقت مرة أخرى في أرجاء الغرفة ثم في جراي الذي كان يصب الشاي في فنجانها من إناء الشاي اللامع . « هل تحبين اللبن ؟ شريحة ليمون ؟ سكر ؟ » .

أحست برائحة التخمر النفاذة التي انبعثت من خطابه وودت لو تفتح النافذة المطلة على الحديقة . وبدا أن قبعتها تضغط بشدة على جبهتها ، وكأنما أحس جراي بأفكارها إذ قال :

— « ربما تحبين خلع قبعتك . لا أكاد أرى وجهك » .

وأخذ منها قبعتها باحترام ووضعها على كرسي ، ثم قدم لها قطعة من البسكويت الصغير الذي أحست فيه بطعم جبوب الكراوية القوي .

حولت دوروثي عينيها عن نظراته الشغوفة النفاذة . ونظرت

www.alkottob.com

إلى الكتب ذات الأغلفة السوداء واكتشفت صورة امرأة ترتدي معطف فراك أسود وملابس حداد سوداء وتحمل قبعة . كان الرمادي ينظر إليها في هذه اللحظة .

ـ اني في غاية السرور لأنك هنا .

ـ وأنا سعيدة لأني جئت .

قالت بتردد ثم واصلت حديثها : لماذا ترتدي دائماً اللون الرمادي ؟ هل أنت في شبه حداد ؟ » .

كان ما يزال يبتسم لها في سرور ، وهو يلحظ كل حركاتها ؟ . « رمادي ؟ ألا تحبين هذا اللون ؟ على أي حال فإنه نفس لون جمجمة الإنسان .. لون أساسي تماماً » .

كان جو الحجرة بارداً للغاية بالمقارنة بالجو الحار في الخارج.

« كنت تنظرين إلى كتبي . لدي الأعمال الكاملة لجورج ميريديث » .

ـ « أذكر أني قرأت « الأناني » كان ذلك وأنا في الصف السادس في المدرسة » .

ـ « لكل كتاب عطره الخاص.زوجتي اسمها ليتيتيا مثل السيدة التي في رواية « الأناني » .

ـ « ألا نذهب لنراها ؟ أليست في انتظارنا ؟ » .

ـ « بكل تأكيد » .

أمسك بذراعها ليسندها بينما يسيران عبر الباب إلى الممر المغطى بالقرميد ثم دق على باب في آخر البيت . كانت حجرة النوم التي دخلاها مغطاة بالستان الأحمر الداكن وكانت ثمة نافذة واسعة مفتوحة على فناء حجري مزروع بالياسمين . فوق السرير علقت صورة المسيح مصلوباً ، وقد دقت المسامير في الجسد الشمعي الأصفر . وسالت الدماء على وجهه من اكليل الشوك . كان السرير مغطى بالستان الأحمر الداكن وفوقه هيكل عظمي آدمي في ملابس زفاف من الدانيتلا . وبدا أن شعراً مستعاراً قد وضع على رأس الهيكل العظمي وفوقه دانتيلا بيضاء مزينة بزهور البرتقال . كانت الحجرة معبقة برائحة زهور البرتقال النفاذة . حاولت دوروثي أن تصرخ ومدت يديها . طالبة النجدة . واحتواها الرمادي بين ذراعيه .

حين استعادت وعيها كانا في حجرة الاستقبال مرة أخرى وكان هو يدلك جبهتها ويديها بماء الكولونيا .

كان جالساً إلى جوارها على أريكة جلدية سوداء يسندها بذراعه حول جسدها . كأنما كانت بين يدي طبيب يرعاها . أحست بالضعف والمرض حتى أنها لم تكن قادرة على اظهار غضبها منه وإنما فقط عرفانها لرعايته لها .

ـ كانت الصدمة قوية عليك . إني آسف .

ـ أحس بالاغماء .

ـ أرجوك دعيني أشرح لك الأمر .

www.alkottob.com

« قابلت زوجتي لأول مرة منذ سنوات طويلة في نفس الحديقة حيث رأيتك . كنا في سن الشباب المبكر . كانت انجليزية وتعمل مربية لبعض الأطفال الأغنيـــاء الذين عاملوهـــا معاملة سيئة . لم يكن لها أحد ترجع إليه في انجلترا. في تلك الأيام لم تكن تنقصني الوسامة واستطعت أن أتحدث معها بالانجليزية . اعتدت أن أجلس إلى جوارها في الحديقة واستمع إلى متاعبها وأمسح دموعها بمنديلي حين تبكي . كانت جميلة جداً ولكنها متواضعة جداً حتى أنهـــا لم تكن تحس بجمالها ».

« فجأة تزوجت ليتيتيا وأحضرتها إلى هنا . اعتادت ارتداء الألوان القاتمة . الرمادي ، مثلاً ، مثل المربية في روايـــة برونتي . كانت مغرمة بالرياضة خارج المنزل . وكانت تقول إن هذا من المميزات الانجليزية الهامة التي تحفظ نشاط ذهنها . لم أستطع مجاراتها في الخروج . اعتادت أن تعود من نزهاتها وقد توردت وجنتاها وتدعوني « سلحفاتها » . كانت هي الأرنب البري وأنا السلحفاة . وكنت جد سعيد أن تدعوني سلحفاتها » .

« صادقت زوجتي سيدة انجليزية ، فنانة اسمها ماري بوتر. كانت ترسم مشاهد طبيعية على مساحات واسعة جداً من الكانافاة ، تصور الغروب الدامي فوق التلال المغطاة بالثلج ، في ألوان مشتعلة . كانت رحالة عظيمة وقد أغرت زوجتي —».

— أرجوك لا تحكي إذا كان ذلك يؤلمك .

— أرجوك دعيني أكمل . أريد أن أقص عليك لأنك انجليزية . لأني حين رأيتك في الحديقة ذكرتني بها . لقد أحببتها من كل قلبي .

— نعم ، أني مصغية .

— « خرجت لاتيتيا وماري بوتر إلى سفوح جبال الأنديز خلف لاريوجا في رحلة طويلة . كانت منطقة وعرة جرداء ، لا يسكنها سوى عدد قليل من الهنود . رفضتا الاستعانة بمرشد . ثم اختفتا .. بالطبع نظمنا حملات للبحث عنهما ولكن الأمر لم يكن سهلاً . كان الوصول إلى المنطقة إما سيراً على الأقدام أو فوق ظهور البغال . بعد فترة فقدنا كل أمل في العثور عليهما. ثم حدث بعد عدة شهور أن اكتشف أحد الهنود الحمر هيكلها العظمي في قاع الوادي . وقد جردته النسور من اللحم تماماً ، ولم يبق سوى شعرها الجميل. أما جثة ماري بوتر فلم يعثر عليها بالمرة . أخذت عظام زوجتي إلى بوينوس ايرس ونظفتها وعالجتها بالمواد حتى بدا الهيكل العظمي مثل الدمية. الآن ترين أنها دميتي . ألبستها ملابسها الجميلة وأصبحنا نلعب سوياً ألعاباً صغيرة . ألعاب حب صغيرة » .

في هذه اللحظة كان يحملق فيها بعينين واسعتين مستديرتين ممسكاً بركبتيها . « هل تظنين أني أصبحت مجنوناً ؟ » .

— يجب أن تحاول ضبط أعصابك . إنك تحتفظ بها هنا لأنك تحبها جداً .

www.alkottob.com

– « نعم ، هذا صحيح » فجأة ابتعد عنها وغاص في الكنبة . أقول لك الحقيقة لقد أصابني بعض الضيق . ان علاقتنا من طرف واحد ..

– « قل لي ، ألم يصر أحد على ضرورة دفنها طبقاً للتقاليد المسيحية ؟

– لقد أعطيت الهنود نقوداً لكي لا يتكلموا . ولم يصل الفصل الأخير من قصة ليتيتيا إلى الصحف ولم يعد أحد يذكرها الآن ، ولدي صديق طبيب كان عوناً كبيراً لي في ذلك الوقت . وما زال يأتي ليلعب معي الشطرنج في المساء بين حين وآخر . هذه هي زوجتي وقد رويت لك كل شيء » .

– ماذا قال عنك ؟ .

– قال انني في حالة مرضية وانني لو وجدت سيدة انجليزية شابة لتحل محل محبوبتي ، فربما أمكن لي أن أسترد صحتي العقلية .

جاهدت دوروثي لتتغلب على احساس بالغثيان وحاولت أن تتحدث بوضوح .

– حقيقة يجب أن أذهب . هل تتفضل بالبحث لي عن تاكسي ؟

– كما تريدين . هل تحسنت الآن » .

– قليلاً .. أظن أني أستطيع السير الآن مستندة على ذراعيك .

نهضت مستندة على ذراعه . وتذكر جراي قبعتها ووضعها بحرص على رأسها ، ثم سارا خارجين إلى ضوء الشمس . وسرعان ما استقلا عربة يجرها حصان عجوز ، وجلسا ملتصقين ذراعه حولها ويدها في يده . وحين وصلا إلى بيتها رفع أصابعها إلى شفتيه .

– سوف يرى كل منا الآخر كل يوم . سوف تحبينني .

حين دقت الجرس جاءت خادمة إلى البوابة وبدأت تتساءل في ذعر بالاسبانية .

– ماذا حدث للسينيوريتا ؟ هل وقع لك حادث ؟ .

– تعبت وأنا في الشارع . وأحضرني هذا السيد إلى البيت .

ونظرت المرأة بشك إلى الرمادي .

– كم هي شاحبة ! استندي إلى ذراعي يا سنيوريتا . ادخلي .

– خذي بالك منها . إنها ضعيفة جداً .

قالها الرمادي بصوته العميق . رفع قبعته ثم صعد إلى العربة التي بدأت السير محدثة صوتاً على أرض الطريق .

حين فكرت دوروثي في الأمر قررت أن تحتفظ بسر زيارتها

www.alkottob.com

للمنزل رقم ١٢٧٨ بشارع فبريز ولا تخبر به أحداً من أسرتها . أحست أنها لم تقم بدور بطولي في القصة وقررت أن تمحو الأمر كله من ذهنها . وحين ذهبت إلى الحديقة اختارت أن تجلس في مكان آخر وبهذا تجنبت رؤية جراي مرة أخرى ، ولكن في بعض الأوقات كانت ذكراه تراودها في أحلام هي خليط من السعادة والرعب وطالما بللت دموعها الوسادة . ولم يمض وقت طويل حتى عادت إلى انجلترا لتقوم بدور في الحرب وعملت في الرقابة على البريد حيث كانت تقرأ خطابات الحب التي يبعث بها الآخرون .

مَصْرَعُ الشَّمْسِ

تأليف : وليام اشيلاك

ترجمة : شوقي فهيم

www.alkottob.com

كان هو النسر الأخير في المنطقة . وقد أسماه الهنود الحمر « الشمس » لأنه كان يدور في هذا الجزء من المنطقة المحرمة مثل قرص الشمس . كان « شمس » يطير كحزمة من الضوء الذهبي القاتم ، بلا حركة كأنه مدفوع بقوة أبدية مطوفاً حول كوكب الأرض ليضيء فوق عشه الذي صعد منه . وهكذا كان « شمس » مساوياً للآلهة في العظمة والسمو . كان — بلا قوة ظاهرة — يصعد ليعتلي قمة عالية في الفضاء فوق المنطقة الهندية ، بجناحيه الطويلين ، ثم يستقر ثانية في عشه — العرش — في بهاء حزين وكأن قدر الموت رابض إلى جواره .

قالت المُدرسة البيضاء ماري فورج :

— « يقول فيدور دوستويفسكي إن الإنسان لا يستطيع أن يحيا دون أن تكون لديه فكرة مؤكدة عن نفسه

www.alkottob.com

وعن هدفه في الحياة ، وسرعان ما يحطم نفسه ولا يبقى على الأرض . »

سأل الهندي النافاجو ، واسمه « يسوع يخلصنا » :

— « من هو دوستويفسكي » ؟

— هندي .

— من أي نوع ؟

أجابت ماري فورج :

— « بهذا التعليق يمكن أن يكون نافاجو » .

قال (يسوع يخلصنا) :

— لا يمكن .

— لماذا لا يمكن أن يكون دوستويفسكي هندياً ؟

— لم أقل إن دوستويفسكي لا يمكن أن يكون هندياً ، قلت إنه لا يمكن أن يكون نافاجو .

— لماذا يختلف النافاجو عن غيره من الهنود ؟

قال « يسوع يخلصنا » :

— نحن .. كل ما في الأمر — كما قال سورن كيركجارد »

— من هو سورن كيركجارد ؟

قال (يسوع يخلصنا) :

— روسي آخر .

— كيركجارد كان دنماركياً .

قال « يسوع يخلصنا » :

— لا . هذا هاملت . هل تذكرين ؟

— إنك تخلط يا يسوع يخلصنا .

— لا . أنا ممرور من الناس الذين يبدأون كلامهم بكلمة « الإنسان » .

— دوستويفسكي كان يفسر نسبة الانتحار العالية بين النافاجو . فمنذ أن غزا الرجل الأبيض منطقة النافاجو لا يرى النافاجو أي أمل أو هدف في الحياة .

— إذن لماذا لم يقل دوستويفسكي هذا ؟

— لأنه لم يسمع عن النافاجو .

عندئذٍ قال (بول الذي ينظر إلى فوق) :

— « إذن أنا لم أسمع أبداً عن دوستويفسكي » .

قال (يسوع يخلصنا) وقد أحس بنوع من الثقة :

— هذا صحيح .

— ما هو هدفك في حياتك يا يسوع يخلصنا ؟

قال (يسوع يخلصنا) :

— أن أخرج من هذه المدرسة .

www.alkottob.com

كان اسم (يسوع يخلصنا) قد أطلق عليه تيمناً بلوحة أقامتها جمعية « البوركيرك للتبشير بالخلاص » . كان كل تلاميذ ماري فورج من الهنود الحمر النافاجو . كانت ماري فورج حين لا تعمل في تربية الماشية تحضر إلى هذه المدرسة الحرة التي تُعلم الهنود الحمر عن أنفسهم وعن منطقتهم – المنطقة الهندية .

– ماذا قال دوستويفسكي عن المنطقة الهندية ؟

قالت ماري فورج :

– سوف أصل إلى هذا .

– هل تسرعين ؟

– لا .

– هل هذه طريقة تتكلم بها مدرّسة إلى هندي أحمر مسكين ؟

قال الرجل العراف :

– يقول سيجموند فرويد – متسائلاً على ما اعتقد أكثر منه ناقداً – « ماذا يريد الهنود الحمر ؟ » يا إلهي ماذا يريد الهنود الحمر ؟ .

– لقد قال ذلك عن النساء ؟

– لو عاش أطول لقالها عن الهنود الحمر .

– حقاً .

– لماذا ؟!

– لأنه يبدو كلاماً عميقاً يجعلك تشد الهنود الحمر وتضربهم.

– بعد أن ننتهي من النساء ..

رد العراف :

– النساء انتهين من وقت طويل .

– ولكنهن ، مثل الهنود الحمر – يمكن أن يعدن ثانية .

رد العراف :

– من يعرف ، ربما نكون جميعاً جنساً ينقرض .

– من يعرف ؟

– كلانا قد يصل إلى نقطة اللاعودة من يعلم ؟

– إذا لم تكن تريد أن نعرف ، فماذا نفعل في المدرسة بحق الجحيم ؟

– من يعرف ؟

قالت ماري فورج :

– أنا أعرف .. أنا أعرف كل شيء عن النسر .

– قولي لنا كل شيء عن النسر يا ماري فورج .

– ان النسر يقتل .

– نحن نعرف ذلك ، ماذا نفعل ؟

– نخرج من هذه المدرسة ونصل إلى الناس الذين يقتلون النسر .

– ثم ؟

www.alkottob.com

قالت ماري فورج :

— من يعرف ؟

كانت ماري فورج امرأة شابة — كانت أصغر امرأة بيضاء رآها النافاجو . لم تكن بنتاً صغيرة ، هناك الملايين من البنات الصغيرات في أمريكا . في أمريكا تصبح البنات الصغيرات البيض فجأة نساء مهزومات . المرأة الشابة البيضاء الواثقة من نفسها والتي لها هدف في الحياة ، مثل ماري فورج ، كانت مجهولة لدى الهنود الحمر الأمريكيين .

كانت لماري فورج عينان لوزيتان واسعتان ، ووجنتان عاليتان ممتلئتان ، وثديان نافران ، وذكاء لماح . ان الرجل الأمريكي الأبيض يخاف ذكاءها ، بينما أعجب الهنود الحمر وأحبوا ذكاءها . حاولوا مساعدة ماري وحاولت ماري مساعدة الهنود الحمر . كلاهما كان يعاني . كلاهما محاط بالمنطقة البيضاء المحرمة .

في أعلى خدها الأيمن ثمة أثر لجرح طويل نتيجة ضربة حذاء ذي كعب عال من أحذية رعاة البقر حين ضربها أحد رعاة الأغنام في بار هاي بوينت في جالوب .

لم تفكر ماري فورج في النسور على حين فجأة في مبنى مدرسة الأحمر الصغير المليء بالهنود . كانت طائرة هليوكوبتر قد حلقت فوقهم للتو . جاءت الطائرة لتقتل النسور . كانت

النسور تقتل الأغنام ، كما يقولون ، وهناك عدة حالات معروفة ، كما يقولون ، حيث خطف أطفال بيض والقى بهم في المحيط كما يقولون .

تستطيع أن تسمع بوضوح صوت مراوح الهليكوبتر واك .. واك .. واك .. وأنت في مبنى المدرسة الأحمر . كان يقود الطائرة ذات اللونين الأزرق والأصفر راعي غنم أبيض مسطح الوجه عليه سمات الطيب الجاد اسمه أرا أوسمان .. كانت النسور طيوراً رائعة ، ولكن يجب حماية الأغنام ، والأطفال أيضاً .

قال مساعد الطيار ، ولسون دراجو ، الذي يركب بجانبه ويحمل بندقية وله مظهر طفولي كاذب :

— هل خطفت النسور أطفالاً في المدة الأخيرة ؟

— لا .

— ثم ؟

— لأننا نمارس سياسة الانضباط من مركز القوة .

— متى خطف النسور آخر طفل أبيض والقت به في المحيط ؟

— ليست النسور يا دراجو إنما النسر إنه نسر واحد فقط . وطالما يوجد نسر واحد توجد امكانية أن تفقد ابنك .

— ليس لدي أطفال .

— لو كان لديك .

www.alkottob.com

— ولكن ليس لدي .
— البعض لديهم .
— ليس لدي أي واحد في المنطقة .
— لو كان لديهم ، فسيكون هناك احتمال أن يفقدوهم .

قال ولسون دراجو : لا يستطيع أحد أن يعترض على ذلك . متى خطف آخر طفل ؟

— لا بد أن ذلك حدث منذ وقت طويل .
— قبل أن تعي الذاكرة ؟
— نعم ، حتى في هذه الحالة يا دراجو . أعتقد يا دراجو ان الحكايات مشكوك في صحتها .
— ماذا يعني ذلك ؟
— أكاذيب .
— إذن لماذا نطلق النار على النسور ؟
— لأن أهل المدينة لا تهمهم الأغنام . أهل المدينة يهمهم الأطفال . ما أن تقول للناس في أليوكيرك أن ثمة احتمال ، أي احتمال ، أن تخطف أطفالهم واحتمال أن يلقى بهم في المحيط ، حتى يتركونك تقتل النسور .
— كم يبعد المحيط ؟
— الناس لا يهمهم كم يبعد المحيط ، يهمهم أطفالهم .
— حقاً .
— الأمر سهل .

— متى خطف آخر حمل ؟
— أمس .
— هذا خطير .
— بدأت تصدق يا دراجو .
— لماذا نحوم حول هذا المبنى الأحمر ؟
— لأننا قبل أن نقتل النسر يجب أن نعرف ماذا تريد ماري فورج أن تفعل .
— ماذا كانت تريد أن تفعل في المرة السابقة ؟
— اطلاق الرصاص على الهليوكوبتر .
— بنفسها ؟
— المسألة لا تستدعي أكثر من طلقة واحدة .
— هذا صحيح .
— بدأت تصدق يا دراجو .
— هل تعيش ماري في هذا المكان ؟
— لا ، هذا هو مبنى المدرسة الأحمر الصغير الذي تستخدمه لتعلم الهنود الحمر الهجوم على البيض .
— ماذا حدث لطياريك المساعدين الآخرين ؟
— خافوا وتركوا العمل .
— بسبب امرأة واحدة ؟
— نعم . أنت لا تخاف من امرأة ؟ هل تخاف يا دراجو ؟
— لا ، أعني نعم .
— لا أو نعم .

www.alkottob.com

— نعم .

تحت في المبنى الأحمر الذي كان على شكل خلية النحل وبه ثقب في القمة ليخرج منه الدخان، كان الهنود الحمر وماري فورج مستعدين للموت في مكانهم .

قال بول الذي ينظر لفوق : « أنا لست مستعداً للموت في مكاني .

قالت ماري فورج : أنت تريد انقاذ النسور ، ألا تريد ؟

قال يسوع يخلصنا : دعني أفكر في ذلك .

قالت ماري فورج : اعطني البندقية .

• • •

الآن ، من فوق في الهليوكوبتر بدا المبنى أسفل أشبه بحصن صغير يدافع عن المنطقة الهندية .

قال أرا أوسمان وهو يصيح ليغطي على صوت الطائرة :

— ماري فورج هذه مشكلة كبيرة .

— كل امرأة .

— ولكن كل امرأة لا تنتهي إلى الحياة مع الهنود الحمر ، مع النسور .

— ما سبب ذلك ؟

— تعتقد أن الهنود الحمر والنسور هم بديل عن الأطفال

بالنسبة لها . أي أنهم بديل عن الحياة .

— أوه ، لماذا تكرهني ؟

— ماذا ؟

— هل تستخدم مثل هذه الكلمات الكبيرة ؟

— أنا آسف يا دراجو ، هل ترى أي نسور ؟

— لا . دائماً أرى بندقية .

— أين ؟

— تظهر من قمة المبنى .

— دع ماري فورج تطلق النار أولاً .

— لماذا ؟

— مسألة قانونية .

— ولكن هذا الأمر قد يكلفني حياتي .

— لقد وضعت ذلك في الاعتبار يا دراجو .

— شكراً . شكراً جزيلاً .

هكذا قال ولسون دراجو .

• • •

كان « شمس » النسر الذهبي يلحظ بحرص الحيوانين الأبيضين اللذين يعيشان داخل الطائر العملاق الذي يصيح واك.. واك .. واك .. كان شمس مستعداً .

اليوم سيكون يوم موت « شمس » لقد قتلت أنثاه من يومين . وبدونها سوف تموت النسور الصغار في عشها . اليوم

www.alkottob.com

هو يوم الموت بالنسبة لشمس لأن النسر ، بدون فكرة مؤكدة عن نفسه ، بدون هدف في الحياة ، سرعان ما سوف يدمر نفسه ولا يبقى على الأرض . اليوم الأخير لشمس .

* * *

قالت ماري فورج وهي تأخذ السلاح :

— « أعرف أن الهنود ، ونحن ، والنسر ، رغم أنه ليس أمامنا . أي فرصة ، نستطيع أن نمضي في الشجاعة . والحب والاهتمام . لأننا شمس وبشر أيضاً ، مرحبا يا شمس .

— كفي عن الكلام وصوبي بحذر .

— هل قلت شيئاً ؟

— إنك تدلين بحديث .

— « اني آسفة » .

— صوبي بحذر ..

كانت ماري فورج تقف على أكتاف هندي أحمر اسمه « عندما يموت المرء فهو في الذاكرة » . ووقف باقي الهنود يرقبون بندقية ماري فورج المصوبة من فتحة الدخان . قال مور توركواز : « لماذا لا تطلقين النار ؟ » همس بكلماته كأنه لا يسمع ضجة الهليوكوبتر العالية .

صاحت ماري فورج : الطائرة ما زالت تحوم .

نظرت ماري فورج في ثقب التصويب وكان عليها أن

تحرك البندقية إلى أعلى وإلى فوق حتى تستطيع أن تطلق رصاصة. لم تكن تريد أن تصيب أياً من الرجلين داخل الطائرة . كان يكفي أن تصيب المحرك أو المروحة . لماذا لا تصيب الرعاة ؟ لأنه هناك دائماً رعاة كثيرون . ليست هناك نسور كثيرة على كوكب الأرض ، بينما هناك ملايين عدة من الرعاة . هناك رعاة أكثر من الهنود . هذا مؤكد . ولكن المهم الآن أننا إذا ضحينا بنسر في مقابل واحد من الرعاة فسرعان ما تختفي كل النسور من على وجه الأرض بينما يملأ الرعاة كل مكان حتى مخدعك . لا ، الهليوكوبتر نادرة . إنهم لا يضحون بطائرة في مقابل نسر . الطائرة تتكلف أموالاً طائلة . كم ؟ ربع مليون دولار . أقسم بذلك . فلنضربهم حيث يوجد القلب . فلنضرب طائرتهم .

ولكن الطائرة كانت ترقص . الآن لاحظت ماري فورج أن الطائرة رغم أنها ترقص إلا أنها كانت ترتفع وتنخفض بايقاع منتظم . يجب إذن أن ننتظر حتى تنخفض ثم تتبعها إلى فوق . فعلت ماري ذلك وأطلقت رصاصة .

مرت الرصاصة بالقرب من الطائرة . ولاحظ النسر ذلك عدة مرات ..

قال ايرا أوسمان لمساعده ولسون دراجو « كانت هذه قريبة . الآن وقد عرفنا مكان ماري فورج نستطيع مطاردة النسر » وأخذت الطائرة المعدنية طريقها إلى منطقة « الشمس »

www.alkottob.com

ولاحظ النسر ذلك . وقد لاحظه عدة مرات من قبل . كانت آخر مرة منذ يومين حين قتلوا أنثاه . نظر « شمس » إلى أسفل حيث أبناؤه النسور الذهبية الصغيرة . كانت النسور بيضاء تماماً ، وستظل بيضاء ومعرضة للخطر لعدة شهور حتى ينبت ريشها الجديد . ولكن لم يكن هناك وقت . لاحظ « شمس » أن الطائر المعدني يهبط في طريقه إلى الوادي الطويل الذي يؤدي إلى مـونت تايلور . حيث يوجـد بيت النسر وكل بيوت الهنود .

• • •

مثل الهنود ، كان أجداد « شمس » يوماً ما يجولون في القارة العذراء المزهرة ببهجة الحياة ، بانهارها المتدفقة وسمائها الرائعة ، حين كان العالم كله قصيدة حياة حلوة وكان كل شيء في بدايته . ولم يصل شيء إلى نهايته . أما الآن فإن كل شيء ينتهي . لم يكن النسر شمس مستعداً للدفاع عن نفسه . لن يدافع عن نفسه . لم يكن هناك شيء يدافع عنه . إنها آخر ساعة في حياة شمس .

• • •

« اتبعوني » . صاحت ماري فورج من أعلى ثم قفزت . وحين أدركها مور توركواز ظلت تصيح بينما كانت ضجة الهليوكوبتر ما تزال : « لقد ذهبوا إلى مونت تايلور ليقتلوا « شمس » علينا أن نأخذ خيولنا ونذهب إلى هناك . »

— لماذا ؟ »

— « لكي ننقذ شمس » . صاحت ماري فورج . « ان شمس هو آخر نسر في المنطقة » .

— « ولكن هذا ليس فيلماً سينمائياً . قال رجل الدواء . « ليس من الضروري أن نركب الخيول ونخترق المكان . يمكننا أن نذهب في عربتي البيك آب — بهدوء » .

— على الطريق سوف نستغرق ساعتين » قالت ماري فورج . « وسوف نحتاج إلى الخيول حين نصل إلى هناك لكي نطارد الهليوكوبتر » .

— ماذا سيقول دستويوفسكي عن هذا ؟ »

قال رجل الدواء .

— « ليذهب دستويوفسكي إلى الجحيم » . قالت ماري فورج .

في الخارج وضعوا السروج على ظهور الجياد الهندية المندهشة ، ثم ركبوا وهبطوا إلى الوادي الضيق ، نهر من التراب والضوء ، مزيج من الحركة والوميض ينبض بالحياة ، ولو رأيتهم حين اختفوا في غابة شجيرات القطن لأمسكت أنفاسك حتى يظهروا مرة أخرى .

— « هيا يا طفلي » . همست ماري فورج إلى حصانهـا

www.alkottob.com

بوكوماس » لم أكن أعني ما قلته عن دستويفسكي . مسكين دستويفسكي . كنت أعني احصاء الثواني . لم يكن لدينا الوقت للمناقشة الفلسفية . هيا الآن يا طفلي العزيز واجري . كن طيباً معي . لتكن مباراة بينك وبين باقي الخيول . هيا يا بوكو إلى المقدمة » .

ومرق بوكو بين الخيول حتى صار في المقدمة بينما كان (بول الذي ينظر إلى أعلى) مصوباً بندقيته تجاه الطائر المعدني الذي يخترق السماء .

* * *

— « هل ترى يا دراجو » أننا أشرار القصة . هكذا صاح ايرا أوسمان محدثاً ولسون دراجو .

— « ماذا » ؟

— « الأولاد القذرون » .

— من الصعب أن تعتبر نفسك قذراً يا مستر أوسمان ».

— « ولكننا كذلك » .

— « ومن هم الأولاد الطيبون » ؟

— « ماري فورج » .

— « أريد أن أنام معها » .

— « لا ، لن تفعل ذلك معك لأنك ولد شرير . لأنك تقتل النسور ، والناس الذين لم يروا نسراً أبداً ، ولن يروا نسراً أبداً ، ولا يريدون أن يروا نسراً أبداً ،

يريدون النسور في المنطقة كلها . ما عدا الفقراء . الفقراء يريدون سلامة أغنامهم . هل سمعت عن شخص فقير يشكو من نقص النسور ؟ ان بعضاً من السادة الأغنياء كونوا نادياً باسم (نادي سبيرا) وهم يحرضون عشاق الهنود مثل ماري فورج على قتل رعاة الأغنام » .

— « لماذا » ؟

— « لأنه ليس لديهم ما يفعلونه سوى ذلك » .

— هل تظن أن ماري فورج تمارس الجنس فعلاً مع الهنود ؟ »

— « إذن فلماذا توجد في منطقتهم ؟ ».

— « لم أفكر في ذلك أبداً ».

— « فكر فيه » .

— « أظن انك على صواب » .

— « دراجو ، فيم تفكر » ؟

— « لا أفكر في النسور ».

— « فيم تفكر » ؟

— « عادة ؟ »

— « نعم » .

— « في مثل تلك الأوقات حين أكون ثملاً ؟ » —

— «نعم » .

— « الدين » .

www.alkottob.com

— « عظيم يا دراجو » ، أحب أن أسمع منك ذلك عظيم .
أي دين ؟ »

— « كلهم ممتازون . اظن ان بلي جراهام أحسنهم » .

— « نعم ، إذا كنت غبياً » .

— ماذا ؟ »

— « لا شيء يا دراجو . راقب النسر جيداً » .

— « قلت انني غبي » .

— « ربما قلت ان نادي سبيرا غبي » .

— « صحيح ؟ »

— « لا ، كيف يمكن أن يكون غبياً وغنياً ؟ » .

— « إذن لماذا اهتمامهم الجنوني هذا بالنسور ؟ » .

— « إنهم مهووسون بالأشياء التي في سبيلها إلى الانقراض مثل الهنود الحمر ، النسور ، أي شيء . ماري فورج أيضاً ضد التطور الطبيعي ؟

— « ماذا يعني التطور الطبيعي ؟ » .

— « حين ينتهي شيء فهو لا بد منته انس هذا . ان لدينا تطوراً جديداً ، الآلة ، هذه الهليوكوبتر ، إنها طائر جديد . »

— « . . . . . »

— « وتذكر يا دراجو أننا لا نريد قتل النسور » .

— « نحن مضطرون » .

— « تماماً » .

* * *

حط النسر الذي يجب أن يموت ، شمس ، حط على عرشه. إنه ملك ، يملك مائة كيلومتر مربع في المنطقة الهندية ، قاضي ومحلف ، إنه ساعة الظل التي ظل الوقت يعرف بها لمائتي عام وهو يحوم في السماء وظله على الأرض. وهكذا ستصبح الأرض ، المكان ، والهنود بلا ساعة لمعرفة الوقت ، إذ يختفي هذا الجلاد الصامت للنسر « شمس » وبدون هذا الصمت الجليل سيختفي الظل الذي دام وحيداً لسنين طويلة ، سيختفي ليحل محله الآن صوت الطائرة .

* * *

ألقى « شمس » نظرة إلى أسفل على صغاره في العش . لتكن المعركة في مكان آخر بعيداً عنهم . لو استطاع أن يشبك نفسه في جناح الطائر المعدني المزعج لكان في هذا نهاية لهذا الطائر المعدني . ونهاية لشمس . قفز شمس بعيداً عن منطقته دون حركة ، فجأة كما يحدث في السينما من قطع إلى مشهد مختلف . وبدأ النسر الذهبي العظيم يصعد ، في جلال جنائزي ، على رياح غير مرئية نحو الشمس الأخرى .

— « إذا حلق صاعداً فسوف نصعد معه يا دراجو . إنه مضطر أن يدور في تيارات هواء صاعدة » .

www.alkottob.com

فتح ولسن دراجو باب الطائرة وغير من مكان البندقية الهارنجتون والرينشاردسن وجعلها في المكان الجاهز ..

— « إلى أي مدى سيرتفع هذا الشيء يا سيدي ؟ »

— « عشرة آلاف قدم » .

— « يستطيع الطائر أن يحلق إلى أعلى من هذا » .

— « ومع ذلك فهو مضطر للنزول يا دراجو » .

— « كم من الوقود لدينا » ؟

— « خمسون جالون » .

— « وما معدل استهلاكنا » .

— « جالون في الدقيقة » .

— هل أحاول أن أطلق النار » .

— « نعم » .

كان شمس يحلق صاعداً في دوائر محكمة مع تيارات هواء متصاعدة حين مسته بعض الطلقات التمهيدية كنقاط مطر خفيفة فأعطته دفعة سريعة . كان شمس خارج مدى الطلقات . كانت الطائرة والنسر يحلقان عالياً .

— « هل أجرب طلقة أخرى » ؟ .

— « نعم » .

في هذه المرة ارتطمت طلقة الاختبار بجسد شمس كالمطر القاسي ودفعته إلى أعلى بسرعة عظيمة . كان شمس في هذه المرة أيضاً خارج المدى .

الآن توقف التيار الهوائي المتصاعد وهبط تحت النسر فجأة وضاقت المسافة بين الطائرة وبينه حتى صار ايرا أوسمان وولسن دراجو بجانبه ينظرانه بعيون صفراء صغيرة بينما تهبط السفينة العظيمة « شمس » من أعلى السماء .

— « هل أحاول أن أطلق النار » .

— « نعم » .

رفع ولسن دراجو مدفعه ماركة هارنجتون وريتشاردسون وأطلق عدة طلقات وأوشك أن يلمس شمس بفوهة البندقية .

لكن الطائر كان قد اختفى تماماً فتح جناحيه واتجه هابطاً صوب الأرض ومن ورائه كانت الهليوكوبتر تهبط في مطاردة سريعة .

هناك كان يقف الهنود الحمر كلهم .

صاحت ماري فورج : « أيها الرجال لا تطلقوا النار حتى يمر شمس » .

وبينما كان شمس يبحر صوب الهنود كان ظله يمر بالهنود كل على حدة .

الآن جاء النسر ورفع كل الهنود سلاحهم تحية له . ومرة أخرى وبعد أن وصل شمس ومر أعد الهنود بنادقهم لضرب الطائرة .

— « هذا شيء عظيم يا دراجو . ان الهنود يريدون القتال».

www.alkottob.com

— « وما العظمة في ذلك ؟ ».
— « إنه شيء طبيعي أن تقاتل الهنود » .
— « صحيح » ؟
— « نعم » .
— « إذن سوف أفعل » .
— « سوف يكون جدي فخوراً بنا الآن » .
— « هل قاتل الهنود الحمر » ؟
— « بالتأكيد » . لم يتوقف البيض عن القتال ضد الهنود الحمر إلا لأوقات قليلة » .
— كان القتال صعباً على الهنود » .
— « هذا شيء عظيم يا دراجو ولكنه طبيعي » .
— « لماذا ؟ » .
— « لأن الناس بطبيعتها تخاف من الأغراب . يسمون ذلك اكسنوفونيا. حين لا تسير مع الطبيعة تصطدم بالمتاعب. إنك تكبت غرائزك الطبيعية وهذا شيء خطير . وهذا سبب سوء الحال في هذه المنطقة » .
— « صحيح ؟ انني أعجب لذلك » .
— « ليس ثمة خطأ في اطلاق الرصاص على الهنود » .
— « اني أعجب لذلك » .
— « إنه أمر طبيعي » .
— « لا يا مستر أوسمان . ثمة شيء خطأ » .
— « ما هو » ؟

— « أنظر للهنود يطلقون علينا النار من الخلف » .

حول ايرا أوسمان مسار الهليوكوبتر صاعداً إلى أعلى .

« أخرج البندقية . سوف نهتم بالهنود » .

— « ماذا عن النسر » ؟
— « علينا أولاً أن نرتب أمورنا من الهنود الذين يطلقون الرصاص علينا وهذه الفتاة التي تصوب نحونا .
— « هل هي مجنونة » .
— ولم لا إذا كانت تمارس الجنس مع الهنود الحمر » .
— « هل تعني أنها تضاجعهم » ؟
— « نعم » .
— « دراجو لقد ناقشنا هذا من قبل وقررنا أن ماري فورج تنام مع الهنود .
— « كيف » ؟
— « دراجو أنت لا تستطيع أن تضبط عقلك على موضوع ما . إنك تتحول إلى عصابي . عندما لا تفهم لماذا تفعل بعض التصرفات فإنك بذلك تكون عصابياً ».
— « أنا » ؟
— « نعم ، أخرج البندقية » .
— « ما زلت أفكر ان هذه مهمتها إذا كانت عاشقة للهنود وللنسور » .
— « ولكن ليس حين تطلق الرصاص علينا وهي تفعل

www.alkottob.com

ذلك ، هذا مرض عصابي » .

— « أنت على حق يا مستر أوسمان » .

— « أخرج البندقية » .

— أو . كي » .

— « اعلم يا دراجو أن الناس وخاصة الذين يحبون الهنود يكبتون حاجة لقتلهم . وهذا يسمى علاقة الحب والكره » .

— « صحيح ؟ تستطيع أن تكف الآن عن الكلام يا مستر أوسمان لقد أخرجت البندقية .

* * *

كانت الهليوكوبتر تدور في دورات في ذلك النهار المشرق في نيو ميكسيكو . وكانت ماري فورج قد أخبرت الهنود أن الهليوكوبتر سوف تعود وأن رعاة الأغنام سوف لا يحاربون النسر إذا كان الهنود يسلطون عليهم النيران . « لن يرتكب الرعاة نفس الغلطة التي ارتكبها كوستر » .

— « ماذا كان ذلك ؟» .

— « حارب على جبهتين . كوستر هاجم السيوكس قبل أن ينتهي من الآخرين . نحن السيوكس » .

— « هل نحن كذلك ؟ هذا لطيف هذا شيء رائع » . هكذا قال نفاجو الذي ينظر عالياً . « متى سنتهي من هذا العمل » .

— « لن ننتهي » . هكذا أجاب (يسوع يخلصنا) .

— « ضع حمارك خلف الصخور » صاحت المدرّسة ماري فورج « انهم قادمون » .

حلقت الهليوكوبتر عالياً وأمطرت الصخور بوابل من الرصاص بمدفع م — ١٦ أوتوماتيك .

— « هذا سوف يعلم المدرسة أننا نفوقهم في اطلاق النار يا دراجو » . هكذا قال ايرا واسمان ، « الآن نستطيع أن نصيب النسر » .

حلق النسر الذهبي المسمى شمس عالياً مرة أخرى ، كان جناحاه ثابتين واثقين في سماء نيو مكسيكو الزرقاء في ذلك الصباح . كان النسر يعرف أنه يجب أن يكون عالياً . ان قوة حيلته تكمن في أنه يجب أن يكون فوق الطائر المعدني وهو يعرف أيضاً من خبرته ان الطائر المعدني لا يصعد إلا لحد معين وهو يعرف أيضاً من خبرته ان تيار الهواء الذي ركبه قد ينهار فجأة ودون إنذار . وهو يعرف أيضاً ومن خبرته في عدة معارك مع الطائر المعدني أن العدو كان سريعاً وفي امكانه أن يلفظ أشياء خارجاً يمكن أن تؤلم ثم تقتل . كل هذا يعرفه من التجربة ولكن الطائر المعدني كان يتعلم أيضاً .

طارت الهليوكوبتر خلف النسر الذهبي .

— « تذكر يا دراجو ان علي أن أكون بعيداً عنه أو فوقه إنه يستطيع أن يأخذنا في طريقه . في المرة الأخيرة

www.alkottob.com

حين اصطدناه أوشك أن يأخذنا في طريقه ، لذا يجب علي أن أكون حذراً واتجنبه حين يهاجم المحرك – إذا راح المحرك رحنا معه يا دراجو – نسقط مثل الصخرة ونسحق مثل اناء من الزجاج . سوف يجمعونك بالمكنسة

– « من » ؟

– « هؤلاء الهنود الذين تراهم تحت » .

– « مستر أوسمان لا أريد أن ألعب هذه اللعبة » .

– « إنك تريد أن تنقذ الأغنام أليس كذلك » ؟

– « لا » .

– « لم لا » ؟

– « ليس لدي أغنام لأنقذها » .

– « ليس لديك أي أغنام ، ليس لديك أي أطفال . ولكن لديك كبرياء » .

– « لا أعرف » .

– إذن أطلق النار عندما أخبرك وستحصل على شيء ».

– « لا أعرف » .

– « هل تريد أن تسيطر النسور على المنطقة ».

– « لا أعرف » .

– « في وقت ما سيسيطر الهنود والنسور على كل هذه المنطقة ، دراجو ، لم تكن تستطيع أن تضع طفلاً أو حملاً صغيراً أيام جدي دون أن يخطفه هندي أو نسر . الآن تقدمنا . المدنية . هذا يعني أن الإنسان

حر في أن يؤمن أعماله .

– « صحيح » ؟

– « نعم ، الآن وقد حصرناهم على هذه الربا ففي امكاننا يا دراجو ألا نتركهم يذهبون .

– « لا نستطيع ؟

– « لا ، سوف يكون في ذلك – إذا فشلنا – خذلاناً للناس المتحضرين ، سوف يسيء ذلك إلى جدي . ماذا أقول له ؟ »

– « هل أنت ذاهب لترى جدك ؟ »

– « لا ، لقد مات . وسوف نموت نحن أيضاً يا دراجو إذا لم تطلق أنت النار . هذا النسر سوف يسقطنا وهؤلاء الهنود سوف يجمعون أشلاءنا . إنك لا تريد ذلك يا دراجو أليس كذلك ؟ »

– « لا أعرف » .

– « يجب أن تفكر جيداً وإلا فسوف ألقي بك من هذه الطائرة بنفسي .

– « هل تعني ذلك » ؟

– « البعض يجب أن يعيش يا دراجو . والنسر لا يريد أن يعيش » .

– « لماذا تقول ذلك » ؟

– « إننا نعرف أننا كنا خلفه وهو يعرف أننا سوف نصطاده ، كان يستطيع أن يترك المنطقة كان يستطيع

www.alkottob.com

أن يطير شمالاً إلى كندا وسيكون محمياً هناك » .

— « ربما يظن أن هذه هي أرضه » .

— « لا ، هذه منطقة متحضرة ، هل ستطلق النار على النسر ؟ »

— « لا » .

— « إنني أحب النسر والهنود يا دراجو ولكن علينا أن نختار إما أغنامي وإما هم . في أي جانب تقف يا دراجو ؟ »

— « أظن أنني في جانبهم » !!

• • •

أصبحت الهليوكوبتر أخف وزناً الآن بدون دراجو . وأخذت الطائرة تناور بخفة أكثر وأصبحت قادرة على الوصول إلى النسر .

استمر ايرا أوسمان يتحدث إلى ولسن دراجو كما لو أنه ما زال بجانبه . كان ولسن دراجو واحداً من رعاة الأغنام الذين يعملون لحساب ايرا أوسمان .

« لقد فكرت هكذا يا دراجو : إذا لم تكن تدافع عني فإن النسر سوف يلقي كلينا للأرض لقد كانت دفعة صغيرة دفعتك بها ، مجرد لمسة وأنت منحني تنظر خارج الطائرة والآن وقد خففت من وزن الطائرة فإنك قدمت اسهاماً صغيراً للحضارة » .

« إننا جميعاً نفعل ما نستطيع يا دراجو وأنت قد ساهمت بما تستطيع . إذا كان هناك شيء لا أحتمله فهو أن يكون هناك عدواً بين أغنامي » .

• • •

وظلت الطائرة تتبع النسر لأعلى ولكنها أخف وزناً الآن وأكثر سرعة ودقة في المطاردة .

• • •

دهش الهنود الحمر على الأرض وهم يرون الرجل الأبيض يسقط من الطائرة . حالة أخرى من حالات التوقف عن العمل مسكين ولسن دراجو . إننا نعرفه جيداً . رجل آخر لم يستطع أن يتقدم في ركاب الحضارة ، مرات عديدة أطلق دراجو النار علينا ونحن نسرق أغنامه . كنا نظن أي أن واحد يمكن أن يلقى من الطائرة ولكن ليس ولسن دراجو . هذا يريك كيف وصلت الحالة في المنطقة البيضاء . إنهم يقتلون بعضهم البعض وقريباً لن يبقى غير الهنود .»

« صباح الخير أيها الهنود » .

« أليس هذا يوماً جميلاً ألا تلاحظ أنه لم يبق سوانا نحن الهنود » ؟

« ونسر واحد » .

كان الهنود الحمر يلقون بهذه الملاحظات الغريبة فوق ما

www.alkottob.com

تبقى من جسد ولسن دراجو .

— « آخر مرة رأيته مُملاً في جالبوب » .

— « لا أستطيع أن أجد فروة رأسه ماذا تظن أنه فعل بها ؟ هل أخفاها ؟

— « الرجل الأبيض الآخر أخذها » .

— « أقسم أنه فعل ذلك » .

— إنهم لا يهتمون بالهنود على أي حال » .

— لا ، حين يسقطون فوقك لا يحضرون معهم فروة رأسهم » .

— « أرجوكم أرجوكم ان الرجل ميت » هكذا قالت ماري فورج » .

— « رجل ؟ رجل ؟ اني لا أرى أي رجل . فقط كمية من الدماء واللحم » ..

— « لكن يوجد رجل ، أو كان يوجد رجل » .

— « الآن لا يوجد شيء . حتى ولا فروة رأس ملعونة .

نطق هذه الجملة « بل الذي ينظر إلى أعلى » فقال مور تركواز : « حسناً يا دراجو ، إن دراجو في سماء الرجل الأبيض في شوارع من الذهب يرعى قطيعه » .

— « ويطلق النار على النسور » .

— « إن دراجو يصعد عالياً عالياً إلى سماء الرجل الأبيض أعلى بكثير من تلك التي تسميها » .

— « هليوكوبتر » .

قالت ماري فورج : « تذكروا أنني مسيحية » .

— « ماذا ؟ » .

— « لقد نشأت على تقاليد مسيحية » .

— « الآن تقولين كلاماً محطوطاً » .

فكرت ماري فورج كيف اندمجت وسط هؤلاء الهنود . وقالت بصوت عال : « في وقت ما كنت صغيرة وبريئة » .

— « اطبعي هذا !! » .

فصاحت ماري فورج في الهنود : « من الأجدى أن نرتقي الجبال ، حتى إذا ضيق أوسمان الخناق على النسر استطعنا أن نطلق الرصاص على طائرته .

— « أو . كي أيتها المدرّسة » .

« لا يوجد إلا جدع واحد أبيض في الطائرة . عمروا بنادقكم واسحبوا خيولكم وراءكم » .

• • •

كان أوسمان يتمتم وهو يعالج مفاتيح الهليوكوبتر أثناء مطاردته للنسر « إنك لم تمت عبثاً يا دراجو . لقد كنت فتى متواضعاً . تستطيع أن تصعد وتعلو أكثر بدونك يا دراجو . انني في طريقي لكي أقتل النسر الأخير هذه المرة يا دراجو . أظن أنه وصل القمة . »

www.alkottob.com

لاحظ شمس ان الطائر المعدني قد ظهر . جاء الطائر المعدني بصوته المدوي . ماذا يأكل هذا الطائر ؟ كيف يتناسل ؟ من أين جاء ؟ من عبر مياه عميقة وعلى رياح قوية ؟ رياح شر ؟ ولاحظ شمس ان الطائر المعدني يطارده اليوم بسرعة أكبر . كان شمس يستطيع أن يرى الناس الذين يراهم دائماً على الأرض . الناس الذين عاشوا في منطقته ، فوق الجبال . يبدو الآن أنهم يريدون أن يكونوا أكثر قرباً منه .

* * *

أحس ايرا أوسمان أن كل الهنود الحمر في العالم يطلقون النار عليه من تحت . كيف ستقتل نسراً إذا كان كل الهنود في العالم يطلقون النار عليك من مونت تيلور . إنها ماري فورج التي صعدت بهم إلى هناك بلا شك فليس للهندي شجاعة لأن يطلق النار على رجل أبيض . لا تستطيع أن تهبط وتقتل كل الهنود إنهم — الناس في الشرق — الذين ليس لديهم أغنام سوف يسمون تلك مذبحة . ان الهنود الحمر ينالون عطفاً الآن . ولكنك إذا قتلت ماري فورج فهذا هو الصواب . فالنساء لسن محبوبات هذه الأيام . لماذا ؟ لأنهن يدبرن مؤامرة ضد الرجال ألا تعرف ذلك ؟ هذا صحيح يا دراجو . لقد تعودت المرأة أن تكون سعيدة وهي من أسفل . والآن تريد أن تكون من فوق .

لا ؟

هل قلت شيء يا دراجو ؟

ظننت أنني سمعت شخصاً ما يتكلم . لا بد أنني ثمل . يجب أن يكون ذهني يقظاً . ماذا كنت أقول ، إنها جزء من المؤامرة . ما معنى هذا شيء ما . لا بد أنني كنت ثملاً . ماذا كنت أفعل ؟ آه . نعم ، كنت ذاهباً لاقتل ماري فورج الفتاة التي تعشق الهنود والنسور . يستطيع النسر أن ينتظر .

وخفض ايرا أوسمان من سرعة الطائرة إلى أقصى حد ثم وضع البندقية الآلية أم — ١٦ في ذراعه الأيسر وفوهتها مصوبة من خارج باب الطائرة . وبيده اليمنى بدأ يهبط بالطائرة .

رأى شمس الطائر المعدني الضخم يهبط . الآن حانت الفرصة لاصابته وهو مشغول باصطياد فريسته على الأرض . ألقى شمس نظرة أخيرة على عشه ليرى صغاره . كانت النسور الصغيرة بخير . لقد نجح في جر العدو بعيداً عن العش . حركت النسور الصغيرة رقابها وهي ترى شكله المألوف قبل أن يفرد جناحيه العظيمين ويصدم قمة الطائر المعدني .

صعدت ماري فورج إلى هضبة بوكوماس ورأت الطائر المعدني قادماً يطلق وابلاً من النيران من بندقيته أم — ١٦ . لم تستطع أن تجعل الهنود يقومون بالتغطية . لقد وضع الهنود خيولهم في حماية الصخور وكانوا كلهم واقفين يرقبون الهليكوبتر المنقضة . كانت ماري فورج ما تزال تصرخ في الهنود ولكنهم لم يقوموا بالتغطية . لقد رأوا الكثير من الأفلام السينمائية اللعينة هكذا فكرت ماري فورج ، لقد قرأوا كتب

www.alkottob.com

كثيرة . إنهم أغبياء ،أغبياء، أغبياء ، صم هنود صم . إنهم يريدون إنقاذ النسر . ويقفون معرضين بلا تغطية لمدفع الطائرة . الهنود الأغبياء . رفعت ماري فورج بندقيتها صوب الطائرة المنقضة وأشارت لهم ان اتبعوني ثم فكت وثاق حصان وجرت به وتبعتها الهليوكوبتر التي تنفث النيران كما تبعهم شمس . وهكذا يوجد الآن ثلاثة .

• • •

فجأة تحولت الهليوكوبتر إلى كتلة من اللهب . شيء ما أصابها في خزان الوقود وانفجر كل شيء لهباً ساطعاً . وكانت المراوح تنثر اللهب في الفضاء . وسقطت الطائرة على الصخور محترقة في صمت .

قال توركواز : إنه شمس الذي فعل ذلك .

مصرع شمس .

وقف كل الهنود الحمر وماري فورج حول الطائر المحترق وسط الدخان الذي كان يغلف موت الشمس .

قال العراف : « حين لا يكون النسر — حين لا يكون للطائر أمل — » .

— نعم .

— عندما لا يكون لطائر .

— نعم .

— حينئذ لا نكون .

— قال الجميع .. وكان الدخان يغلفهم — نعم .

• • •

بعد ثلاث شهور — أشار أحد الهنود إلى نسر يطير في السماء . كان العراف قد أسماه « النجم » . وكان النسر يطير في ليلته الأولى يسترد منطقة « شمس » .

الآن مر ظل « النجم » الكبير على جسم الطائرة المحترق ثم استقر الطائر العظيم في عشه العرش ، في حزن مجلل بالبهاء . وكأن قدر الموت رابض إلى جواره .

www.alkottob.com

يوم سعيد من أيام أغسطس

للكاتب الأمريكي : تنسي وليامس

ترجمة : شوقي فهيم

www.alkottob.com

مقدمة

تنسي وليامز غني عن التعريف . نعرفه أساساً ككاتب مسرحي . وربما كانت هذه القصة القصيرة هي أحدث ما كتبه في هذا المجال (نشرت عام ١٩٧٣ في مجموعة: أحسن القصص الأمريكية لعام ١٩٧٣) .

ولد تنسي وليامز (توماس لانيير وليامز) في كولومبس بالمسيسبي عام ١٩١٢ وعاش حياته الأولى هناك وفي سانت لويس . تلقى تعليمه الجامعي في جامعة المسيسبي ولكنه كان يقطعه لأسباب مالية ، ثم نال أخيراً شهادته الجامعية من جامعة ايوا .

بدأ كتابة ونشر الشعر وهو حدث صغير أثناء اشتغاله بأعمال مختلفة ، ومنذ ذلك الوقت أخرجت كثير من مسرحياته في التلفزيون والسينما والباليه — ومنها على سبيل المثال « عربة

www.alkottob.com

اسمها الرغبة » (التي فازت بجائزة بولتزر ، وجائزة نقاد الدراما) و « صيف ودخان » و « ليلة السحلية » و « قطة فوق رف من الصفيح الساخن » (التي فازت أيضاً بجائزة بولتزر وجائزة نقاد الدراما) . آخر أعماله « تحذيرات العربة الصغيرة » التي نشرها في خريف عام ١٩٧٢ ، ثم (الصرخة) التي نشرها في خريف ١٩٧٣ .

ويعيش وليامز أساساً في كي وست بولاية فلوريدا الأمريكية .

وإذا جاز لي أن أقول كلمة قصيرة حول هذه القصة « يوم سعيد من أيام أغسطس » فإني أرى فيها لمسة وفاء من تنسي وليامز تجاه الإنسان ومشاعره الرقيقة المنسحقة تحت بنايات منهاتن الحجرية الضخمة وفي شوارعها الجهمة ، فاطحات السحاب التي تقول عنها هورني « أنما أشبه بشواهد القبور المظلمة في مدينة للموتى . » انها صرخة في وجه المدينة الضخمة التي تأكل أبناءها . وحين تقسو علينا المدينة ويصيبنا الأعياء نذهب إلى الطبيب النفسي ، أحد مخترعات المدينة ، .... ولكن يا له من حل بائس ..

* * *

بدأ اليوم بنوع من الكدر على الافطار ، في الحقيقة بدأ بخطأ قبل الافطار حين دست هورني رأسها في الحجرة الضيقة التي تستخدمها الفنستون كغرفة نوم لهذا الشهر والشهر التالي ، وقد زعقت هورني فيها « يوم سعيد ، العاشر من أغسطس ! » ثم سحبت رأسها وأغلقت الباب بشدة فاقلقت نوم الفنستون الذي كان في أحسن الأحوال نوماً خفيفاً وعسراً والذي لم يكن ، في بعض الأحوال يعد نوماً بالمرة .

كانت المشكلة أن هورني ، بعد تفاهم طويل بين السيدتين ، قد أخذت لنفسها حجرة النوم الرئيسية المكيفة بالهواء لشهري أغسطس وسبتمبر ، على أن تأخذها الفنستون باقي شهور السنة. ظاهرياً قد يبدو هذا الترتيب أكثر من عادل بالنسبة للفنستين . فقد تم هذا الاتفاق سلمياً بين السيدتين حين استأجرتا الشقة منذ عشر سنوات مضت ، ولكن الأمور التي اتفق عليها سلمياً منذ سنوات مضت قد تصبح بمرور الزمن مثار ضيق لأحد الطرفين ، وهكذا فإن الفنستون وهي تعيد النظر في هذا الاتفاق بينهما بدأت تفكر في أن هورني بنت نيويورك مولداً ونشأة ، لا بد كانت تعرف أنها سوف تستمتع بتكييف الهواء خلال أيام الصيف شديدة الحرارة . ولكن ، والحق يقال ، لو ان الفنستين شخذت ذاكرتها ، فإن هورني قد صرحت ان اغسطس هو أكثر الشهور حرارة في منهاتن وأن سبتمبر يميل إلى البرودة ، ولكنها ،

www.alkottob.com

هورني قد ذكرت الفنستين بأن لديها (لدى الفنستين) المقر الصيفي لأمها في شادو جلاد ، وتستطيع أن تزوره وقتما تشاء وذكرتها هورني أيضاً انها ليست مطالبة بأن تستيقظ مبكراً في الصيف أو في أي فصل ، حيث أنها تعمل لحسابها ، مهما قل هذا العمل أو كثر ، كمستشارة في علم الأنساب ، متخصصة في هذا المجال ، بينما هي ، هورني ، مضطرة للالتزام بمواعيد مكتب محددة .

خلال هذا التفكير ، كانت الفنستين قد نهضت وذهبت إلى الحمام وكانت الآن على وشك الظهور وقد اكتسى وجهها بوقار ينذر بالشر (وتمنت هي ذلك) وهي تدخل إلى غرفة المعيشة في نهاية شقتهما المبنية من الحجر الأسود بالدور الخامس في الشارع الواحد والستين الشرقي ، كانت الفنستون تعرف أنها تبدو على ما يرام بعد أن نظرت في المرآة . لم تكن سنوات «أواسط العمر » تقترب منها خلسة هذا الصيف ولكنها كانت تدهمها بعنف مثلما زعقت هورني فيها في العاشر من أغسطس .

« ما هو هذا العاشر من أغسطس ؟ » هكذا وجهت سؤالها إلى هورني بلهجة مخادعة عن عمد وهي تدلف إلى غرفة المعيشة لتناول القهوة .

ضحكت هورني ضحكة خافتة وقالت :

— « العاشر من أغسطس هو العاشر من أغسطس » .

— « إذن فليس هناك سبب على الاطلاق يدعوك لايقاظي في مثل هذه الساعة ؟ »

— « لقد أيقظتك مبكراً لأن دكتور شوايبر قد غير موعد جلستك اليوم إلى الساعة التاسعة لكي يلاحظ حالتك الذهنية في الصباح .

— حسن ، إنه لن يلاحظ حالتي هذا الصباح بعد ثلاث ليالي متواصلة من الأرق .

— ألا تعتقدين أنه يجب أن يلاحظ اكتئاب الصباح لديك؟

— ان اكتئاب الصباح عندي يرجع فقط إلى الأرق المستمر وليس إلى أي من المشاكل التي أبحثها مع شوايبر ، ولست على استعداد لأن أدفع له دولاراً واحداً لكي أجلس على تلك الأريكة وأنا منهكة أشد الانهاك وأغمغم له ببضع كلمات .

— ربما تقدرين على التقاط بعض الملاحظات وأنت على الكنبة . وأنت تعرفين يا الفنستين أنني مقتنعة تماماً بأن قلقك وتوترك الذي ازداد سوءاً هذا الصيف هو رد فعل لا شعوري للاهانات الفرويدية . إنك من مواليد برج الحمل يا عزيزتي ، ومواليد برج الحمل ، وخاصة عند ارتفاع برج الجدي لا يمكنهم الافادة إلا من يونج . أعني أنه بالنسبة لمواليد برج الحمل فليس أمامهم سوى يونج أو لا شيء » .

أحست الفنستين بالغضب يغلي في صدرها ولكنها فكرت أنه من الأوفق وهي منهكة بهذا الشكل ، أن تكبته ، لذلك

www.alkottob.com

حولت الموضوع إلى الببغاء لوريتا ، وقد لاحظت أن لوريتا ليست بداخل القفص .

— « أين وضعت لوريتا ؟ »

سألت بحدة كما لو أنها خشيت أن تكون صديقتها قد قطعت رأس الطائر والقت به في سلة المهملات .

ردت هورني بسرعة :

— لوريتا تقوم بجولتها .

— « لا أظن أنه يجب على لوريتا أن تقوم بجولتها حتى تذهبين إلى مكتبك ، خاصة وأنك تتحركين في الشقة بسرعة في الصباح ومن المحتمل أن تسحقيها تحت أقدامك » .

— « اني أتحرك بسرعة ولكني لست عمياء ، يا عزيزتي ، وعلى أي حال فإن لوريتا قد ذهبت لتجلس في قصرها الصيفي » .

كان قصر لوريتا الصيفي قصراً فسيحاً وأنيقاً وضع لها في الشرفة الصغيرة ، وكانت جالسة فيه .

قالت الفنستين بحزن :

— « يوماً ما سيكتشف هذا الطائر أنه يستطيع الفرار ، حينئذٍ الوداع يا لوريتا ! » .

— إنك مفعمة بالنبوءات المفجعة هذا الصباح . أراهن أن دكتور شوايبر العجوز سوف يعرف أشياء جديدة .

كانت المرأتان ترتشفان القهوة في هذه اللحظة ، جنباً إلى جنب على الكنبة المغطاة بالساتان في مواجهة التلفزيون والشرفة .

كان مشهداً ساراً وأنت ترى من الشرفة قدراً هائلاً من نباتات الزينة أكثر مما تراه عادة في منهاتن خارج المنتزه . كان التلفزيون مضاء . وكان أحد المسئولين عن الصحة العامة يتحدث عن ازدياد الاصابات بمرض شلل الأطفال في نيويورك هذا الصيف .

قالت هورني :

— متى تذهبين لتأخذي حقنة شلل الأطفال ؟

فأعلنت الفنستين أنها قررت عدم أخذ حقن شلل الأطفال هذا الصيف .

— هل أنت مجنونة ؟

— لا . ولكني فوق الأربعين فحسب .

— وما علاقة ذلك ؟

— إني خارج منطقة الخطر .

— هذه نظرية خطيرة . قال الرجل أنه ليس هناك سن محددة لشلل الأطفال هذه الأيام .

— « هورني ، إذا كنت تأخذين أي حقن أو أقراص في

www.alkottob.com

حياتك فلسبب غاية في الغرابة ليس لأنك مرعوبة من المرض أو الفناء ، ولكن لأن لديك رغبة لا شعورية في الموت وتشعرين تجاهها بالذنب فتحاولين باستمرار اقناع نفسك بأنك تفعلين كل ممكن للحفاظ على صحتك واطالة حياتك . »

كانتا تتحدثان بهدوء ولكن دون أن تتبادلا النظر أثناء الحديث ، وهذا لم يكن علامة طيبة لليوم العاشر من أغسطس ولا لازدهار الصداقة .

ردت هورني :

— « نعم هذا سبب غريب حقاً .. غريب جداً ! لماذا تكون لدي الرغبة في الموت ؟ ! .

أصبح صوتهما خفيضاً ومرتعشاً .

— « مساء أمس ، يا هورني ، نظرت ، أنت ، إلى المدينة من الشرفة وقلت « يا إلهي ، يا للعدد الهائل من شواهد القبور ، يا لها من مدينة للموتى تسطع بالأضواء ، أكبر شواهد للقبور في أكبر مدينة للموتى ، لقد ذكرت هذه الملاحظة لدكتور شوايبر وأخبرته أنها أصابتني بالرعب . فقال لي « إنك تعيشين ، إنك تقتسمين حياتك مع إنسانة مريضة للغاية . أن ترى هندسة عظيمة في مدينة عظيمة وتسمي هذا شواهد قبور في مدينة للموتى فهذا عرض من أعراض اضطراب

عقلي عميق ، أعمق من اضطرابك ، ورغم علمي بمدى تقديرك لهذه الصداقة إلا أن علي أن أحذرك من تعريض نفسك باستمرار لهذه الدرجة من العدمية والرغبة في الموت مع ما تبذلينه من مجهود للخروج من الظل. أستطيع أن أشجعك على الاستمرار في هذه العلاقة بشرط واحد هو أن تأتي هذه المريضة لتتلقى العلاج النفسي أيضاً . لكنني أشك في أنها سوف تفعل ذلك ، حيث أنها لا ترغب في الصعود ، أنها تريد التحرك في الاتجاه المضاد » . وقال « وهذا يتضح تماماً مما قلته لي عن اختيارها لاصدقائها الحاليين » .

خيم الصمت عليهما للحظات إلى أن قالت هورني :

— « هل تعتقدين أني عقبة في تحليلك النفسي ؟ لأنك إذا كنت تعتقدين ذلك فإني أريد أن أؤكد لك أن العقبة سوف تزيل نفسها بكل سرور » .

قالت الفنستين :

— « ان شوايبر مهتم أساساً بدائرة أصدقائك الجدد لأنه يعتقد أنهم مدمرون بطبيعتهم ! » .

— حسن . إنه لم يقابلهم وأظن أنه منتهى الوقاحة أن يحكم شخص على جماعة من الناس من شخصيات مختلفة دون اتصال شخصي مباشر . بالطبع ليس لدي فكرة عن القصص التي زودت بها دكتور شوايبر عن أصدقائي

www.alkottob.com

قالت الفنستين بلهجة تندر بالشر :

— في التحليل النفسي العميق يجب ألا تكبتي أي شيء .

— ولكن هذا لا يعني أن ما تكبتينه هو صادق بالضرورة. اليس كذلك ؟ من الواضح أنك لم تكوني تعنين ما تقولين حين ذكرت لي أنك تفهمين حاجتي لدائرة أصدقاء قليلين طالما لست مقبولة لدى أصدقائك أنت.

أجابت الفنستين بأسف :

— ليس لدي دائرة أصدقاء إلا إذا كنت تقصدين شلة الزملاء القدامى من خريجي كلية « سانت لورنس » الذين تناولت معهم العشاء منذ شهر ، ونادراً ما أدعوهم هنا للعشاء والبريدج ، وهي مناسبات أدعوك اليها دائماً ، بل والح على دعوتك ولكنك لا تحضرين ، اللهم فيما عدا مرة واحدة .

— آه نعم ، لقد قلت أنت منذ أيام أنك لا ترين أي خطأ في أن يكون لكل منا أصدقاؤها الخصوصيين. بل إنك قلت إن هذا أكثر صحة لكلينا من الناحية السيكولوجية . لقد قلت ، لو حاولت التذكر ان هذا يخفف التوتر بيننا حين يكون لكل منا دائرتها الاجتماعية الصغيرة ، ولما كانت دائرتي كريهة لديك ، فليس بوسعي إلا أن أقول لك :

— تقولين لي ماذا ؟

— إنك لم تقبليهم ، لقد انتصبت أشواكك كالقنفذ وبانت مشاعر العداء في وجهك في المرة الوحيدة التي شرفتهم فيها بحضورك ، المرة الوحيدة التي قابلتهم فيها بدلاً من هرويك إلى شلة خريجي سانت لورنس .

ران الصمت مرة أخرى على الحوار الدائر بينهما .وتنحنحت كلتاهما وارتشفت بعض القهوة ولم تتبادلا النظرات ، وارتعش الهواء الدافيء فيما بينهما . حتى البيغاء لوريتا ، بدا أنها احست بالأزمة المنزلية فكانت تصدر أصواتاً مكتومة وقليلاً من الأصوات الموسيقية من قصرها الصيفي ، كما لو كانت تريد أن تنشر السلام بين السيدتين التعيستين .

قالت هورني مستأنفة الحديث بينهما :

— تقولين ان لدي رغبة في الموت . أظنك تضعين الحذاء في القدم الخطأ يا عزيزتي . اني أتجه نحو توسيع واثراء علاقتي بالحياة ، أما أنت فيسيطر عليك موت أملك البطيء ، كما لو أنك تحسدينها عليه . إنك تكرهين ما تسميه « دائرة الهيبيز القرويين » من أصدقائي لأن لديهم حيوية ثقافية، مقبلون على الحياة ، مكرسين أنفسهم لكي يحيوا ، هنا وهنا ، وهنا . (ولمست رأسها ، وصدرها ، وأسفل بطنها مع كل كلمة هنا » .)

www.alkottob.com

— أوه ، وكل هذه الحيوية المتنوعة سوف تتفجر الليلة هنا مرة أخرى ، اليس كذلك يا هورني ؟.

— ان الجو الاجتماعي سيكون أكثر حياة مما سوف تجدينه في « شادوجلاد » ، ولكن الشيء الوحيد الذي يقل حياة عن أمك هو الجو الاجتماعي في شلة أصدقائك المصائب خريجي سانت لورنس . الفنستون ، لماذا لا تأتين الليلة معنا ، بدلاً من الذهاب إلى أمك ، تأتين بروح مختلفة عن تلك التي جئت بها من قبل — أعني أن تكوني رقيقة ، طبيعية ، صديقة بدلاً من أن تشحني الجو بالكراهية والشكوك وحينئذٍ أعلم أنهم سوف يفهمونك أكثر قليلاً وأنت سوف تفهمين مدى الشغف والاثارة التي أحس بها في اتصالي بجماعة لديها بعض الحيوية الثقافية .

— هل تريدين القول بأن خريجي سارة لورنس فاقدو الحيوية وأغبياء ؟

— لم أكن أفكر في خريجي لورنس ، أنني لا أعني شيئاً بالنسبة لهم كما أنهم لا يعنون شيئاً بالنسبة لي .

على أي حال (واصلت هورني حديثها مستجمعة قوتها) أحس أنه أمر سخيف ومضحك أن نتباهى بشيء داعر ونجعل منه أمراً جليلاً ، أعني الالتحاق والتخرج من معهد الادعاء والأناقة هذا .. !

— حسن ، يا هورني ، إذا كان لا بد أن تعرفي الحقيقة ، فإن بعض السيدات أصابهن الاضطراب بسبب اللالاكروبيا التي لديك .

— الـ .. ماذا ؟

— لا لاكروبيا هي الاصطلاح السيكاتري للرغبة القهرية لاستخدام لغة تصدم المستمعين ، دون مراعاة الجو المناسب.

— إذا كنت قد صدمت السيدات — وقفت هورني عند هذه الجملة التي لم تكملها لأن حركتها كانت عنيفة حتى أنها سكبت بعض القهوة على غطاء الكنبة الساتان. صاحت هورني بوحشية حين حدث ذلك ، وقد أطلقت بصيحتها تلك مخزوناً من التوترات التي تراكمت خلال هذه البداية السوداء لليوم العاشر من أغسطس ، وانطلقت كالرصاصة صوب المطبخ لتحضر حزمة مبللة ، ثم اندفعت إلى الكنبة لتمسح بقعة القهوة .

قالت الفنستون في لهجة أسى :

— الآن فهمت لماذا هلكت قطعة الأثاث هذه .. إنك تدعكين هذا الغطاء الساتان ، الذي صنع من رداء جدتي ، بخرقة مبللة كلما سكبت شيئاً عليه ، وهو ما تفعلينه بانتظام غريب بسبب كراهيتك لـ ...

— مبدئياً ، نعم !

www.alkottob.com

هكذا قالت هورني وقد سمعت فقط أول كلمة من اتهام الفنستين وأكملت :

— ثم أمر عليه بعد ذلك « بالمنظف السحري » .

— ما هو « المنظف السحري » ؟

أجابت هورني بنظرات خاطفة وأنفاس متلاحقة بفعل التوتر والانفجار : « المنظف السحري هو منظف معجزة يعلن عنه جوني كارسون في برنامجه « استعراض الليلة » في التلفزيون.

قالت الفنستين :

أرى أنك مجنونة . حسن سوف أرسل هذه الكنبة لتغطى بقماش في لون القهوة . طبعاً ليس لدي ما أفعله لحماية حاجياتي من الصيني والأواني الزجاجية ، من الفوضى والدمار التي تهددها هذه الليلة ! إن تحطيم الخزف الوجود والهافيلاند الذي أمتلكه هو ثمن ضئيل يدفع لتجديدك الثقافي خلال الشهور القلائل الماضية ، إذا كانت ستة شهور قليلة ! لا أستطيع أن أرى المستقبل ، ولكن إذا لم يكن هذا المكان مجزراً في .....

— لماذا لا تضعين خزفك اللعين وهفيلاندك اللعين في المخزن ، من يريد أو يحتاج إلى أشيائك اللعي ....

قالت الفنستون وفي صوتها نغمة تحذير :

— هورني ،

فأجابت هورني بمقاطع لفظية داعرة اعتادت استخدامها في كلامها في الفترة الأخيرة .

— يا إلهي ، يا الفنستون ، ولكني أعي ذلك . إننا نقتسم شقة صغيرة حيث تحتل الآثار المقدسة لاسرتكم معظم المكان الآثار المقدسة مثل خزفك الوجود وكرستالك وفضتك وعليها شعار أمك ، كل شيء يخص أمك أو أم أمك موجود هنا حتى أنني أحس كمن يحتل أرضاً بغير حق في خريطة أسرتكم ، وآه يا إلهي من رفوف الكتب ! تصوري ارتباكي حين يقوم اساتذة الأدب والفلسفة بتفحص الكتب الموجودة فوق هذه الأرفف ولا يرون غير هذه الكومة من كتب علم الأنساب ويظنون أنني أنا التي اخترتها للقراءة : « أبرز عائلات الجنوب . المجلد الأول » « أبرز عائلات الجنوب . المجلد الثاني » كتب من هذا ترتفع حتى السقف وتنزل حتى سجادك الأوبسون ، رفوف رفوف .

— هورني ، أعتقد أنك تعرفين أنني مستشارة محترفة في علم الأنساب ويجب أن يكون لدي مراجعي وأن أعمل في هذه الغرفة !

— ش ش ، كنت أظن أنك حفظتها في عقلك طوال هذا الوقت ! من هو « المحافظ دنويدي » اللوطي

www.alkottob.com

التافه .. ،وأي قبيلة سلخت رأس الآنسة الفينستون ، ومن هي عائلة ....

— هورني ! ليس هناك ما يشين في تاريخ الأسر العريقة!

— حسن ، ان تاريخ أسرتك يا الفينستون ، وشعارات أسرتك قد جعلوا من هذه الشقة مكاناً يتعذر الدفاع عنه ولا أستطيع العيش فيه ! إني ذاهبة للحجز في فندق شيلزي لعطلة نهاية الأسبوع وسوف تعرفين فيما بعد أين نلتقي لتسوية حساباتنا ودفع تعويض لي عن نصف الايجار الذي دفعته في هذا الحرم المقدس، حرم الفينستون ! .

خبطت هورني باب غرفة النوم الكبيرة وحين أصاخت الفينستون السمع سمعت رفيقتها المتعبة تتحرك في الغرفة وهي جد مشغولة . كان ثمة حركة دائبة لعشر دقائق أو نحو ذلك قبل أن تترك هورني حجرتها ، ثم قامت الفينستون من على الكنبة وذهبت إلى غرفة النوم الكبيرة لتستطلع الأمر . اكتشفت الفينستون ان هورني قد جمعت بعض الحاجيات في حقيبة جلدية وكسرت « السوستة » التي تقفلها ، وتركت أدوات التواليت خارج الحقيبة ، حتى فرشاة الأسنان ، وهكذا تأكدت الفينستين ان هذه الحقيبة ليست إلا واحد من حركات هورني الطفولية .

في ظهر يوم العاشر من أغسطس اتصلت الفينستون تليفونياً بقسم الأبحاث في « المجلة القومية لتسجيل الأحداث الاجتماعية »

حيث تعمل هورني وجاءت هورني على السماعة .

كان الصوتان مفعمين بالحزن وخافتين حتى أن كلا منهما كانت تطلب من الأخرى أن تكرر بعض الكلمات التي قيلت في المحادثة التليفونية الطويلة بينهما . كانت المحادثة رقيقة ومهذبة . كان الموضوع الوحيد الذي أثار الخلاف بينهما في هذه المحادثة موضوع حقن شلل الأطفال . قالت الفينستون يا عزيزتي إذا كان هذا الموضوع يريحك فسوف أذهب لأخذ حقنة شلل الأطفال » وان صمت قصير ، وبدا التأثر في صوت هورني وهي ترد على رفيقتها .

— تعرفين يا عزيزتي الرعب الذي أحسه تجاه شلل الأطفال منذ أن هاجم ابن عمي الفي ، الذي ما زال أسير الرئة الحديدية ، ولا تظهر الا رأسه ، مثل رأس ميت ، يا عزيزتي ، وعيناه الزرقاوات ، آه يا إلهي ، حين أنظر فيهما وهو يحاول أن يبتسم لي ، آه يا إلهي من تلك النظرة !

عند هذه النقطة بدأت كل منهما في البكاء وجاهدت كل منهما لكي تغمغم بكلمة « وداعاً » ..

ولكن في الساعة الرابعة من ظهر ذلك اليوم الحار من أغسطس كان ثمة تغيير مفاجيء في مزاج الفينستون . ولما كانت على موعد مع محللها النفسي فقد روت له بدقة عجيبة تفاصيل المحادثة التي دارت مع هورني في الصباح .

www.alkottob.com

سألها المحلل بحزن .. متى تتعلمين .. حين ينتهي الأمر ؟

نهض من كرسيه خلف الكنبة التي تمددت فوقها الفينستون ممسكة بيديها مناديل كلينكس لتمسح أنفها ، كان ينهي الجلسة بعد خمس وعشرين دقيقة فقط ، وبذلك يكون قد غش الفينستون وسرق نصف ما دفعته للجلسة .

بحركة تثير الغيظ فتح الباب لالينستون لكي تخرج . خرجت إلى الشارع وهي تبكي في هذا القيظ . قالت لنفسها « لا شيء ، لا شيء » كانت تعني أنه ليس لديها شيئاً تفعله . ولكنها حين ذهبت إلى البيت تملكتها روح عدوانية . دخلت حجرة النوم الكبيرة وجمعت باقي حاجيات هورني بدقة شديدة، وبسرعة شديدة وضعت الربطات الأربعة عند باب الغرفة . ثم ذهبت إلى غرفتها ، وملأت حقيبة بالحاجيات التي تلزم عطلة نهاية لأسبوع ، ثم ذهبت إلى محطة جراند سنترال لتأخذ القطار إلى اشادوجلاد حيث قررت البقاء هناك حتى تتخذ هورني الخطوة الأساسية وتخلي الشقة بلا مشاكل .

* * *

حين وصلت الفينستون إلى أمها وجدتها تعاني مرة أخرى من أزمة الربو ومعها الممرضة . لم تستطع أن تحس أي شيء تجاهها فيما عدا ذلك التفكير المخجل عن وصية أمها الأخيرة. هل تذهب الأملاك كلها إلى الأخت المتزوجة وأطفالها الثلاثة

أم تعدل ماما وتدرك أن الفينستين هي التي تستحق فعلاً الدعم المالي في السنوات القادمة ، أم هل تذهب هذه الأملاك (أوه يا إلهي) إلى كنيسة المعرفة ، ونشاطها التبشيري في نيوزيلاند ، وهي محل اهتمام ماما في سنواتها الأخيرة . كانت الفينستين تعاني من هذا الهم الكبير ، وحين خفت أزمة ماما وخرجت من السرير وبدأت تتحدث عن عقيدة كنيسة المعرفة مرة أخرى ، استراحت الفينستين وقالت لأمها فجأة أنه من الأحسن لها ، أي لالفنستين ، أن تعود إلى نيويورك ، حيث أنها تركت الشقة دون أن تخبر هورني ، وهو أمر لا يصح أن تفعله مع إنسانة عصبية مثل هورني .

قالت الأم شاكية :

— أنا لا أفهم هذه الأمور التي لا تنتهي مع هورني ، هورني . بحق الشيطان ما هي هورني ؟ لا أسمع منك شيئاً سوى هورني طيلة عشر سنوات . أليس لهورني هذه اسم مسيحي تناديها به ؟ أوه يا إلهي ، ثمة شيء غريب فيها ، طالما فكرت في ذلك . ماذا يعني ذلك ؟ لا أدري ماذا أتخيل !

— أوه ماما ، ليس هناك ما تتخيليه . إننا امرأتان غير متزوجتان ، عاملتان ونخاطب بعضنا باسم الأسرة . هذا تقليد بين النساء العاملات في مانهاتن ، هذا كل شيء يا أمي ...

www.alkottob.com

— أوه .. لا أعرف ، ...

وسددت الأم نظرة إلى الفينستين ولكنها حولت الكلام عن موضوع هورني وطلبت من الممرضة مساعدتها للجلوس على « القصرية » .

ثم داهمت الأم أزمة ربو أخرى خطيرة وأصبحت الآن على وشك الخروج منها بعد الاسعافات ، وقدمت لها الفينستون سندوتش جبنة مما كانت قد أعدته للعشاء .

ثم تحسنت الأم أكثر واطمأنت حين صرف الطبيب الممرضة.

« لا بد أن الطبيب يرى أني تحسنت » .

فقالت الفينستين : نعم يا ماما كان وجهك أزرق حين جئت إلى هنا والآن يعود إلى لونه الطبيعي .

— أزرق ؟

— نعم يا ماما ، أرجواني . إنها حالة يسمونها سيانوزس .

— أوه يا إلهي ، سيا ماذا تسمينها ؟

ولما لاحظت الفينستين ان استخدام هذه المصطلحات الطبية يتعب الأم مرة أخرى أخذت تغير الموضوع وتتحدث عن الروب الذي ترتديه أمها ، وأن لون وجهها قد تحسن وذكرت ماما أنها أهدت اليها هذا الروب مع زوجين من الجوارب المشغولة وغطاء صوف مشغول لزجاجة الماء الساخن بمناسبة عيد ميلاد ماما الخامس والثمانين ..

بعد فترة صمت قصيرة لم تستطع الفينستين أن تكبت الكلام الذي يدور في رأسها فقالت لأمها أن ابنتها الأخرى ، المتزوجة فيوليت تجاهلت تماماً عيد ميلادها (الأم) ، وكذلك الأحفاد (تجاهلوا هذا العيد) ، تشارلي ، وكلم ، وايونيس ..

ولكن ماما لم تكن منتبهة فقد بدأ مفعول المسكن يظهر الآن وبدأ صدرها يرتفع ويهبط بهدوء مما ذكر الفينستين بحركة المحيط في أعقاب أعصار استوائي عنيف .

« غريب أن تظل تقاوم مستر بلاك » .

هكذا قالت الفينستين لنفسها (ومستر بلاك — أي السيد الأسود — هو الاسم الخاص الذي تطلقه الفينستون على حاصد الأرواح) .

— « لاسي ، هل جاء المحامي لزيارة ماما ؟ » .

كانت مدبرة البيت العجوز قد أعدت بعض الشراب من الروم الساخن للفينستين ، وأعطتها مواعيد قطارات الصباح إلى منهاتن .

أحست الفينستون ، وهي تحتسي الشراب بثقة في مدبرة البيت العجوز التي ترافق ماما . لقد ظنت في بعض الأوقات أن لدى لاسي نوايا خفية للبقاء بعد ماما وبهذا تنال بعض من أملاك ماما ، بيد أنه الآن ، هذه الليلة ، بات واضحاً للفينستون أن المدبرة العجوز تعسة الحظ ولن تعيش لترى وفاة ماما . إنها

www.alkottob.com

مصابة بداء الربو أيضاً ، وكذلك بالتهاب المفاصل الروماتيزمي مع ترسبات الكالسيوم على العمود الفقري حتى أنها تسير منحنية. الحق أن حالتها المرضية صدمت الفنستون إذ أنها أسوأ من حالة ماما رغم أنها ، لاسي ، ما زالت تعمل وتتحرك بأمراضها ، متشبثة هذا التشبث الحيواني بالوجود ، وهو ما لم تكن الفينستون تحترمه لا في ماما ولا في المدبرة العجوز . « لا تستطيع أن تصمد إلى الأبد » هكذا همهمت الفينستون بصوت نصف مسموع .

تساءلت المدبرة :

— « ماذا يا آنسة ؟ ».

قالت ان ماما ما زالت تسيطر عليها كنيسة المعرفة رغم أن هذه الكنيسة لم تخرج من نيوزلاند حيث تأسست قبل سنة من خلاص ماما حين زارت أوكلاند مع بابا بعد فشله في النهوض أثر نزع اسمه من سجل رجال الأعمال لتوقفه عن الدفع عام ١٩١٢ .

— ماذا ؟

— تاكسي ! اطلبي ! تاكسي !

— أوه ..

— نعم ، لقد قررت ألا أنتظر قطار الصباح إلى مانهاتن بل العودة الآن في تاكسي سيكون مكلفاً ، ولكنه ...

لم تكمل الجملة التي لو أكملتها لكانت حول قرارها بأن

تفاجيء هورني وسط عربدتها مع أصحابها من (جامعة نيويورك) وكانت تفكر بالذات في الملاحظة التي ستوجهها لاستاذ الفلسفة ذي اللحية .

سوف تسأله ، لأسباب شخصية بحتة ، هل أنت من أنصار تحرر المرأة ؟

مرت ابتسامة بطيئة على وجهها وهي تهبط السلم إلى القاعة الأرضية في المقر الصيفي لماما .

هم م م م ..

أحست بالارتياح لهذه الخدعة البارعة حين دست دولاراً ورقياً في يد لاسي المعروقة وهي تغادر البيت .

كان التاكسي أمام البيت .

وحين قال لها « السائق » أن الاجرة إلى مانهاتن ستكون حوالي ثمانين دولاراً ، طردت الفينستون السائق بغضب ، ولكنها استدعته مرة أخرى بصوت كالرعد قبل أن يتجه إلى الطريق الرئيسي ..

فقد فكرت الفينستون أن ثمانين دولاراً أقل من نصف تكاليف جلستين عند دكتور شرايبر وكانت تشك كثيراً أن بيتها الصغير في مانهاتن سيتطهر إلى الأبد من الأمور الشيطانية المزعجة التي يقوم بها أصدقاء هورني من المداعين كما أن ...

www.alkottob.com

« نعم ، ستثور هورني في وجهي كطفل شقي ، ولكننا سنرى ! » .

حين دلفت الفينستون إلى الشقة في الشارع الحادي والستين في مانهاتن ، ووجهت بمشهد يختلف تماماً عما توقعته طوال الطريق . لم يكن ثمة أي عربدة ، ولا أي علامة على الفوضى في مؤسسة هورني ـ الفينستون .

هورني ؟ أين هي ؟ آه ، هنا !

كانت هورني نائمة وهي جالسة على الكنبة . كانت تواجه الصندوق الأبله (التليفزيون) . وكان لا يزال مضاء حتى بعد انتهاء « استعراض الليلة » بل و « أفلام آخر السهرة » . لم تكن الشاشة سوى حملقة بلهاء من الضوء بها نقط سوداء ، كانت أشبه بفيلم سالب لعاصفة ثلجية في منطقة مهجورة مصحوباً بصوت زئير خافت . لماذا يا إلهي تشبه هذه الشاشة العمليات الشعورية واللاشعورية التي دارت في رأس الفينستين طوال رحلة العودة بالتاكسي ، ... يا يسوع . تأملت الفينستون جسد هورني الضئيل المنهك وهي نائمة على الكنبة . كان غطيط هورني الخافت مختلطاً بهمهمتها . وأمامها ، على مائدة الكوكتيل الصغيرة ، نصف زجاجة من الويسكي « جاك دانييل ـ بلاك لابل » وكأس واحد . من الواضح أن هورني قد سكرت لتنام أمام هذا الصندوق الأبله ، وحيدة تماماً ، تماماً ...

كانت الفينستون أمام لغز .

راجعت جهاز تسجيل المكالمات التليفونية بحثاً عن الرسائل التي وردت لها ولهورني أيضاً .

كانت الرسالة الوحيدة التي تلقتها (الفينستون) من أحد خريجي كلية سانت لورنس يعتذر عن موعد غذاء . وكانت الرسالة الوحيدة لهورني أكثر اثارة . كانت تقول ، في ايجاز صدم الفينستون كشيء مهين : آسف ، لا يوجد عمل ، ساندي كوستو . (كان الاسم للذلك الرجل أستاذ الفلسفة ذي اللحية من رفاق هورني) .

أحست الفينستون بالتعاطف مع هذه الإنسانة الضئيلة المهمومة الملقاة على الكنبة ، أحست بالتعاطف يتسلل إلى قلبها دافئاً ، هادئاً ، مثل تأثير النبيذ . أطفأت جهاز التلفزيون ، هذا الفيلم السالب للعاصفة الثلجية الليلية في منطقة نائية ، فغمر الظلام الحجرة وران الصمت ، فيما عدا شهيق هورني وهمهمتها وأحياناً صوت البغاء النائم ، الذي ما تزال في قصرها الصيفي في الشرفة .

قالت الفينستون آه ، لقد مر العاشر من أغسطس ، هذا شيء ...

ثم فعلت شيئاً غريباً ، شيئاً سوف ترتبك حين تتذكره ، وسوف تخبر به شاريبر يوم الاثنين أملاً في التبصر بمعناه العميق الذي لا بد أن يحمله . لقد جثت على ركبتيها أمام الكنبة وضغطت برفق بخدها على ركبة هورني البارزة وأحاطت بذراعها ساقي هورني النحيلتين . في هذا الوضع رأت المشهد الجانبي للمدينة

www.alkottob.com

يزحف نحو الصباح بنفور غير مفهوم يا إلهي لقد أصابت هورني بتعليقها على هذه الأبنية الحجرية الضخمة التي تنتشر على طول المدينة وعرضها ، كانت فعلاً أشبه بمجموعة من شواهد القبور المظلمة في مدينة للموتى .

كان ضوء الصباح غير مبال بالمدينة ، كان يزحف داخلها وحولها محملاً بكراهية غير مفهومة . كانت المدينة ، وكان الصباح ، يعانق كل منهما الآخر كما لو أنهما مؤجران لأداء مشهد تمثيلي عن الحب الدافيء ، ولكنه بغيض لكليهما .

همست الفينستون إلى ركبة هورني بصوت كله مواساة :

« يوم سعيد ، الحادي عشر من أغسطس » وبعد غد ، لا ، غداً ، يوم الاثنين ، سوف تبدأ في أخذ حقن شلل الأطفال رغم فزعها الطفولي من وخز الابرة .

الوُسُوسُ

تأليف : دافيد پوتوول

ترجمة : شوقي فهيم

www.alkottob.com

بدأ الصمتُ على الغَداء . سارا عائـدين إلى فُنـدق « الروندافيل » عبرَ الصمت الهائلُ الذي يخيمُ على الغابة ، وعلى الليل الافريقي ، وعلى صمتهما أيضاً .

ولكن أحداً منهما لم يكسرْ هذا الصمتْ . ذهب هو إلى البار ، الملحق بالمطعم ، الذي يقدمُ لحوم الصيد ، بينما ذهبت هي لتنام . وحين عاد اليها بعد ساعات ، وجدها نائمةً داخل خيمةٍ من النسيج الشفاف . كان النورُ مضاءً وطنينُ البعوض مصاصِ الدماء يملأ الحجرةْ وبينما راح البعوضُ يزعج سكرَته ظلَ ساكناً مُحملقاً في جسد زوجته العاري البارد .

جلس على الكرسيِّ المجدول من نبات الصفصاف

وأغمض عينيه .

وظل النورُ موقداً والبعوضُ يلفُ في الحجرة ويلهبُ وجهَه ويديه بلدغاتٍ نارية . لم ينم في تلك الليلة . هي بالمثل

www.alkottob.com

لم تنم . إنه يعرف ذلك .

في الصباح تناولا الإفطارَ واستعدا لأول رحلة صيد في المنطقة المخصصة لذلك . وزودهما المطعمُ بوجبةٍ محفوظة . وانطلقا في الطريق الذي رسَمهُ لهما مكتبُ الحارس . وعندما سارت العربة على الطريق لم يكن يُسمع سوى حفيفُ الاطارات على الرمال والاحجار الصغيرة مختلطاً بصوت الموتور .

تلفتا بحثاً عن صيد .

قرد آسيوي : قرد إفريقي

إلى الأمام حلوف بري أفريقي ، منتصب الذيل ، هرول مسرعاً عبر الطريق واختفى في الغابة .

لم تكن هناك طيور .

ثم بدأ مشهدُ السافانا ، مساحاتٌ صفراء شاسعة من الحشائش الجافة وشجر الأكاسيا . وكانت الشمسُ قد اكتسحت الظلالَ على جانبيَ الطريق وبدتَ الأرضُ مستوية .

بعيداً إلى يساره رأى زرافةً سَرعان ما ركضت واختفت بين الأشجار .

ورأت هي ثلاثة فيلة واقفةً في الظل بين أشجار الغابة .

عندما وصلا إلى منحنى على الطريق شاهدا بقرة سوداء ،

أندرَ الأبقار الوحشية ، في منطقة الصيد . أوقفَ السيارة ونظر في الدليل المصور . أخرج نظارتَه المقربة من الحافظة وراح يدرس الحيوانات طويلةَ الأرجل التي انطلقت صوب منحنى الطريق .

عندما وضع النظارةَ على ركبته ، لم تأخذها . وضعها في حجرها دون كلمة . أدار العربةَ مرة أخرى ، وسار باحثاً عن البقرة الوحشية السوداء . ربما لا تتاحُ لها الفرصةُ لرؤية هذا الوحش النادر مرةً أخرى .

واستمر سائراً بالعربة .

بعد نصفِ ساعة لم يرَ فيها صيداً جديداً ، رأى قطيعاً من الجاموس والبقر الوحشي على الطريق . أغلقوا الطريقَ أمامه بحيث لم يجد منفذاً يعبُر منه .

فوق قطيع الحيوانات الضخمة تكونت سحابة من التراب بينما راحت تخبُ على الطريق وتخور . وبدا أنهم يدورون حولَ نقطة معينة .

أوقف العربة .

ولكنه ترك الموتور دائراً .

أفزعته جاموسة .

فجأة تشتت القطيع وتقهقر ، مبتعداً عن الطريق . وحين

www.alkottob.com

تجمعوا مرة أخرى تحت وغل من الأشجار المنخفضة ، وكانت الأتربة قد هدأت على الطريق ، استطاع أن يرى سبب الازعاج .

كان وحشان قد اشتبكا معاً يقرونهما القوية الملتوية إلى الأمام . أحدهما وهو الأضخم ، كان ثوراً وقد ظل واقفاً على أقدامه ، بينما استلقت البقرة على جنبها ورأسها مرفوع . كان الثور يشد رأسه ويطعن بها ، ثم ينكسها ويهزها ويسحب بها الحيوان الراقد على الأرض . وأثناء صراعهما كانا يجأران ويخوران في ألم واحباط .

ثبت الثور رجليه الأماميتين .

ووقف كالصخرة ورأسه محني .

وتوقف الخوار .

وجلس القطيع تحت الأشجار .

كان صوت الموتور يمزق الصمت الذي ران ، والصمت الآخر داخل السيارة .

كان كل شيء في الساقانا ساكناً ، معلقاً على القرون المشتبكة على الطريق .

نظر إلى زوجته .

لقد شحب وجهها . كانت في يدها علبة سجاير وولاعة.

بينما هو يرقبها أشعلت سيجارة وأعادت العلبة إلى حقيبتها . عرف أنها خائفة من الطريقة التي أشعلت بها السيجارة والطريقة التي تدخن بها . انتظر أن تطلب منه العودة بالسيارة .

لكنها لم تقل شيئاً .

وحين فتح باب السيارة ، ظل الصمت مخيماً . وبينما ترجل على الطريق سمع باب السيارة يغلق خلفه .

لم ينظر حوله .

كان الهواء مليئاً بالتراب واستطاع أن يشم رائحة القطيع . كانت الشمس شديدة الحرارة ، فزادت من رائحة الروث والأرض الجافة . وبينما هو يسير صوب الوحشين المشتبكين القى نظرة على القطيع . كانوا يرقبونه ، رؤوسهم مرفوعة . وخلفه كانت عينان أخريان . ومثل القطيع الرابض في الظل لم تحدث هي أي صوت . كان هو المخلوق الوحيد الذي يتحرك في ذلك المكان الرهيب .

وكان الصوت الوحيد صادراً عن ارتطام نعلين بالحصى الأحمر .

وحين أصبح على مبعدة عشرة أقدام من الوحشين المشتبكين على الطريق توقف .

كان كلا الوحشين مصاباً بجروح نافذة في الرأس ، والرقبة والكتف وقد ضخ الفم بالدماء الفجة واللعاب ، بينما

www.alkottob.com

تدلى اللسانُ الأزرق المشوب بالحمرة تسيل منه خيوطُ اللعاب . واستطاع أن يرى من مكانه عيني الثور تتدحرجان نحوه . وحول البقرة الجاثية كان ثمةَ روث وبول . وكان ردفا البقرة مغطيين بالوحل وما زال شرجُها يفرزُ الغائط .

كانت الرائحةُ نفاذةً وقوية .

وابتلع ريقَه بقوة حتى يتجنبَ القيء .

تحركت البقرة بصعوبة وهو يقتربُ أكثر ، أمالت رأسَها فاحتكت القرونُ مرةً أخرى . وعافرت البقرةُ مرتكزةً على ركبتها ولكن الثورَ كان قوياً ، فسحبها على الطريق ، بعيداً عن الغريب . وحين سقطت البقرةُ على ظهرها ، الثوت رقبتُها بزاوية مرعبة ، ففقد الثورُ توازنَه ووقع . ارتطم شِدقُه بالأرض وراح يخورُ ويجأرُ بفمه الدامي .

ومن خلال الزبد والدم المتخثر استطاعَ أن يرى القرونَ وقد صارت زلقةً بفعل قوة الوحشين الخرافية وهما يجاهدان ليتحررا .

وبينما كان الثورُ مستلقياً على البقرة ، كانت قرونُهما قد أوشكت على الانفصالْ ولم يبق مشتبكاً سوى الحافة الأمامية الرقيقةْ . خطا بين الرأسين وانحنى ، أمسك بالقرون وأبعدهما الواحد عن الآخر .

نهض الثور مرتكزاً على كتفه الهائل ، تهادى على أقدامه

ثم انطلق يعدو . لم تنهض البقرةُ فوراً ، وإنما استلقت على الطريق تحكُ رأسَها على الحصى كأنها لا تصدقُ أنها أصبحت حرة .

انتظر البقرة أن تتحرك .

وبينما كانت تقفُ على ركبتها سمعَ القطيعَ يتحرك .

كان الثورُ هو الذي أزعجهم . راح الثورُ يحوم حول مقدمة القطيع . ولكي يبتعد باقي الجاموس والأبقار عنه تحركوا صوبَ الطريق . بعد فترة إنتصبت البقرةُ واقفة وكان القطيعْ على مبعدة ثلاثينَ ياردة فحسب .

وقد انطلق يعدو .

وسمع صوتَ بوق السيارة ينطلق بجنون . استدار ورأى العربةَ قادمةً صوبه ، والأنوارَ الأمامية مضاءة .

ومن خلال الزجاج الأمامي رأى وجهَها وحركةَ يدها تلوّحُ له .

كانت قادمةً إليه .

أغلق أذنيه عن الرعد الذي يقصفُ خلفَه وبدأ يجري تجاه العربة ، يقفز مثلَ رجلٍ وُلد من جديد بقوةٍ خارقةٍ على الطريق الخالي .

أوقفت السيارة حين رأت مقدمة القطيعْ وقد أمسكت بزوجها والقت به على الأرض يتلوى .

www.alkottob.com

كانت الوحوشُ السوداء تحيطُ بها من كلا الجانبين ، وقد جلست ممسكة بعجلة القيادة ترقب الجسد المترنح وهو يُقطّع ويُمزّق على الطريق .

وحين ذهب القطيع جلست ساكنة صامتة ، والموتُور دائر والأنوارُ مضاءة .

بعد السينما

تأليف : نيل جوردان

ترجمة : شوقي فهيم

www.alkottob.com

قال لي « أنت لا تصدقني ، هل تصدقني ، أنت لا تصدق أي شيء ، ولكني رأيتها – » وكرر قوله مرة ثانية ولكني لم أجد ضرورة للاستماع إليه هذه المرة ، فأنا أستطيع أن أتصور الأمر بوضوح . ملابس المرأة العارية مكومة وملقاة بجانب الطريق ، حيث كان الشاطىء وعراً ومليئاً بالصخور والحصى ، وجسدها المتلىء ممدداً على الرمال على حافة المياه والأمواج تخبط حول رسغيها النحيلين .

كان الخيال كالصيف كله ، خفاقاً بالوعود المحرمة .

لقد عدت إلى المدينة منذ يومين . كنا نتسكع سوياً حتى الشفق إذ بدت الساعات أطول مما هي عليه وبدا كأن ضوء النهار سيمتد حتى يوشك على الانفجار ، بينما السماء كقطعة من الشاش شدت فوقه ، قاتمة وحزينة ولكنها مليئة بالرغبة والمجهول .

www.alkottob.com

دافيء ومعبق برائحة الشحم . رأيت المرأة قادمة من الممر الضيق حيث كانت شرائح البطاطس تحمر ، واتكأت على الحاسبة المعدنية . داعبها بعض الأولاد فضحكت ، ثم أخرجت سيجارة ووضعتها في فمها وأشعلتها . أعرف أن السيجارة حين تنتهي فإن الفلتر يكون مغطى بأحمر الشفاه ، كما يحدث في الأفلام . وحين أخذت منهم النقود انزلق سواران ذهبيان إلى رسغها البض . كان ثمة شيء غريب . راقبت الأولاد الكبار وهم يضحكون معها وأحسست بالتوتر الذي ينتابني ازاء الشفق ورائحة التفاح . وصدقته حينئذ رغم أني أعرف كم هو كذاب . صدقته لأني كنت أريد أن أصدق ، وأن أتخيل هذه المرأة الشقراء الممتلئة وهي عارية ، هذه المرأة التي تبدو أكبر من أعوامها الخمس والعشرين ، والتي تغني مساء كل سبت أثناء الرقص في الفندق المحلي . قال : اسمها لينش . فقلت أنا « لبؤة » لكي أبدو واسع المعرفة . نظر إلي وبصق : « متى تكبر ؟ » بصقت أنا أيضاً . « هاك ! » وقدم لي كيس البطاطس المحمرة فأخذت واحدة . حين جئت إلى منزل الضيافة كان هو قد جاء قبلي بيوم . حين وصلنا رأيته واقفاً في الممر ينزع الأوراق من شجيرات الورد وأنزلنا الحاجيات من حقيبة سيارتنا الفورد . نظرت إليه ، رأيته كما كان في العام الماضي فيما عدا عناد جديد في وجهه . تمنيت لو أن وجهي أكثر جموداً . أدار وجهه بعيداً حين نظرت إليه ولكنه ظل واقفاً ينزع الأوراق حتى انتهينا من انزال الحاجيات . ثم ذهبت لأتحدث اليه . قال لي أن المدينة كانت كئيبة هذا

هذا العام كنت خائفاً قليلاً منه رغم أنه كان لا يزال أصغر مني . كنت أحسد وأحب حذاءه المدبب الذي بلي واستحال لونه إلى الأبيض ، وشعره الذي يقطر زيتاً لكي يحفظ له شكل ذيل البطة . ورحت أتأمل ثقته ولا مبالاته حين كان الخل ينساب من كيس البطاطس المحمرة «الشبس» على قميصه الأبيض . ولكني احتفظت بكل هذا لنفسي ، فأنا أعلم تماماً أنه يحسدني أيضاً لما لدي من أشياء ، أظن أن كلانا كان يدخر هذا الحسد ويرقب الآخر لكي يرى كم تغير ولكنه يترفع عن السؤال . بقي كلانا في « بيت الضيافة » كالعام الماضي . كانت حجرتي تواجه البحر ، وكانت حجرته تواجه أرض الدير حيث عارضة كرة السلة ، وشبكة الكرة الطائرة وحيث كانت الراهبات يلعبن الراكيت وهن يضحكن ضحكاتهن المنغمة القصيرة الخجولة . استنشقنا رائحة التفاح التي ملأت المدينة والتي جاءت من حديقة الدير الذي يقع خلفها ، وكانت رائحة التفاح في نهاية أغسطس تعني لدي شيئاً مختلفاً هذا العام ، مثلما كان الشفق . في العام الماضي كانت هذه الرائحة تعني الدعوة إلى السرقة . تساءلت عما إذا كانت تعني نفس الشيء بالنسبة له . وانتهيت إلى أنها لا بد تعني نفس الشيء ما دام له مثل هذا الشعر . لكنه في ذلك الوقت كان أكثر صلافة ودعارة .

« أنظر أنها قادمة الآن» .

وأومأ برأسه تجاه محل البطاطس المحمرة وحملقت أنا من خلال الزجاج المعتم بفعل البخار . بدا لي أن المكان في الداخل

www.alkottob.com

العام ، وانه كان هناك فيلم لالفيس في السينما المحلية . وقال أن السيارات الفورد ذات المؤخرات العالية قد أصبحت موضة قديمة . وسألته هل اشترت أسرته سيارة فأجاب بالنفي . ولكن في بعض الأحيان أتصور أن امتلاك سيارة ذات مؤخرة عالية وأبواب صدئة أمر أسوأ من عدم امتلاك سيارة بالمرة . قال : « تعالي ، سوف نذهب إلى المدينة » وسرنا إلى البوابة ، إلى الطريق الذي يمتد من الجسر إلى المدينة حيث كانت كل البيوت مطلية بالأبيض والأصفر . وفي الصيف تصبح بيوت ضيافة . قال لي « هيا نذهب إلى الداخل » قلت له : « ليس معنا نقود . « وعلى أي حال أنا لا أصدقك » . تمنيت ألا ينكشف خوفي . قال « أنه صحيح . الرجل الذي في السينما أخبرني » سألته : هل رآها ؟

— لا ، أخوه رآها .

كانت ثمة ثقة في جملته الأخيرة مما جعلني لا أستطيع الرد عليه .

دفعنا الباب الزجاجي فيما كان هو يخرج مشطه وراح يمشط شعره . ذهبت إلى الصندوق الأصفر وضغطت ببلاهة على الأزرار . سمعت من يقول « هل وضعت نقوداً فيه يا ابني ؟ » . استدرت ورأيتها تنظر نحوي . وكانت خصلات شعرها تنسدل حول وجهها الكبير . كانت وجنتاها حمراوان ، وكان رداؤها منخفضاً من عند الصدر وبدا صدرها الكبير ناصع البياض متوائماً مع بقع الشحم على مريلتها . قلت « لا » . وعلت

وجهي حمرة الخجل « .. نريد فقط أن نعرف .. » وصاح جامي « أما زال الوقت .. » فأجابت « هل لديك عيون في رأسك » ؟ . ورفعت ذراعها وأشارت إلى ساعة حائط . كانت الساعة العاشرة وعشرين دقيقة .

سرنا تجاه الملجأ ومحل البساطس المحمرة و « الفندق الشمالي الكبير » وهي أماكن لم تتغير عما كانت عليه في العام الماضي . رأينا على الشاطىء مرة ثانية ابن صاحب الفندق الذي ترك الكهانة وصار مجنوناً بعض الشيء ، كان يدير نفسه حتى تتعرض بطنه للشمس إذ كان ظهره قد اكتسب سمرة داكنة . أخبرني جامي عن الأختين اللتين من بلفاست وكيف أنهما كانتا ترتديان ملابس من النايلون ، وهما بروتستانتيتان ، وأنهما تجلسان في السينما كل مساء في انتظار شيء ما . وسألني ما إذا كنت قد فعلت شيئاً مع بنت ترتدي النايلون . سألته هل حدث ذلك معه فلم يقل شيئاً إنما بصق على الأرض ودعك بصقته بحذائه . أخذت مشطه ومشطت شعري الذي رفض أن ينصاع وسقط مرة ثانية على جبهتي مشوشاً وفي لون الرمال . ابتسمت المرأة التي في محل الشبس ووضعت ذراعها على الحاسبة ، مستندة بذقنها على كفها . بدت ثنيات ذراعها البض حول الأساور الذهبية . « هل تريد ان تعرف أي شيء آخر الآن ؟ » أحسست فجأة أنه يتعين علي أن أتغلب على نفسي ، وأن أتصرف على نحو أفضل من جامي ذي « القُصة » التي تشبه ذيل البطة . قلت : « نعم هل أنت ... » ثم توقفت . بدت لي كأنها بلهاء ، ولكن شيئاً أقوى من ذلك

www.alkottob.com

أوقفني قالت : « هل أنا ! » ثم استدارت نحوي وسددت نظراتها إلى عيني . كان ثمة بريق ساخر في عينيها الخضراوين المحاطين بكحل ثقيل . فكرت في القمر وحوله غيمة خضراء مثل ملاك الموت في فيلم « الوصايا العشر » . رأيت وجنتيها وسمعت صوت البحر وتخيلت قدميها على الرمال . وارتعشت في أعماقي ما هذه الحماقة الكبيرة التي سحبت اثنين ليحاولا شيئاً لا أعرف تماماً ما هو . احمر وجهي خجلاً ، محاولاً أن أعرف هذا الشيء ، وأنقذتني هي حين ضربت بيدها على الحاسبة الفضية وقالت : « إذا كنت لا تريد شبس ، فاذهب من هنا ! » قال جامي وهو يمشط شعره . قلت وأنا أستمع إلى صوت شعره المضمخ بالزيت وهو يحتك بالمشط . ما زلت لا أصدقك . قال لي : هل تريد إذن أن تنتظر وترى؟ » لم أجب . رسم جامي عدداً من المنحنيات كونت امرأة عارية على زجاج النافذة ووقفنا نرقب هذه الخطوط وهي تسيح .

ذهبنا إلى السينما في هذه الليلة الأولى . شممت رائحة العام الماضي ، رائحة المقاعد والتراب المتصاعد الذي يتحول إلى ماس عندما يواجه مخروط الضوء . كان ثمة أزواج متناثرون في السينما ، وعلى الشاشة كان القيس يسير على الشاطىء في مايو مشجر ، ولكن لم يكن ثمة أخوات من بلفاست . سألته وفي صوتي نغمة انتصار : « أين هن ؟ أنقذ نفسه بأن أخرج بطارية وأضاءها ثم ضغط عليها بشدة » . حملقنا في القيس صامتين . وأخيراً جاء ميكانيكي السينما ووضع رأسه بين كتفينا وقال « ايه يا أولاد ،

هل تريدان أن تريا غرفة العرض ؟ » . شممت في نفسه نفس رائحة العام الماضي ، رائحة السجائر والتعتاع . ولكن هذا العام قلنا له لا .

وفيما بعد ومرة أخرى جلست في حجرتي ورحت أرقب الشاطىء ، حيث كانت راهبتان تلعبان التنس في ملعب رسمته على الرمال . كانت الساعة التاسعة وعشر دقائق وقد تقدم الشفق تماماً وصار التوازن بين الأزرق والبني على ما ينبغي . جلست في سريري وجلبت ركبتي إلى صدري ، أنصت إلى ضحكات الراهبات المتغمة ، وسرعان ما ذهبت الراهبتان وصار الشاطىء خالياً إلا من الملعب المرسوم وعلامات أحذيتهن الطويلة . ولكني رحت أنظر إلى الشاطىء وأنا أنصت إلى صوت الأمواج بينما الضوء يموت من حولي في الحجرة ، وأنا أبكي على طهارة العام الماضي .

* * *

ضغطنا أنفسنا بجوار الحائط حتى لا يرانا أحد . كان أبي ينادي إسمي من أمام منزل الضيافة . كان صدى صوته يتردد على الشاطىء قلقاً وحزيناً . وسرعان ما تبدد الصدى وتقدمني جامي متلصصاً وأشار لي بأنه لا يوجد أحد سرنا بحذاء الشاطىء في رحلة طويلة على الأقدام في الضوء الخافت . وجلسنا وراء قارب مقلوب وبدأنا ننتظر . انتظرنا ساعات ، حتى صار وجه جامي محتقناً وشاحباً ، وحتى بدأت أسناني تصطك . حملق في

www.alkottob.com

البحر وأخذ يكسر أسنان مشطه الواحدة تلو الأخرى ناثراً إياها حول قدميه . بصقت على الأرض ولاحظت كيف تحولت بصقتي إلى كرات رملية صغيرة ، ظل البحر في مده وجذره ، مده وجذره ، مده وجزره ، ولكنه ظل خالياً من امرأة بضة . ثم بدأ جامي يتحدث عن القبلات بالفم وهو مقفول وهو مفتوح وعن الفرق في الاحساس بالنهدين حسب الوضع ، وعن الفرق بين الجوارب النايلون والجوارب البيضاء القصيرة . بدا لي أنه تحدث لبضع ساعات وبعد برهة لم أعد أسمعه ، كنت أعلم أنه راقد بشكل ما . ثم فجأة تنبهت إلى أنه كف عن الكلام . لم أدري كم من الوقت توقف ، ولكني أعلم أنه توقف قبل أن ألحظ ذلك ببعض الوقت . استدرت ورأيته مكوماً ووجهه أبيض كوجه طفل . كانت الأسنان مكسورة في مشطه ويده تعبث بها بلا احساس . وكان يبكي بصوت خافت . كان شعره مجعداً يتساقط منه الزيت على جبهته ، وكانت شفتاه في لون الارجوان من أثر البرد . لمست مرفقه ولما لم يتوقف بكاؤه الخافت خلعت معطفي ووضعته حول كتفيه . ارتعش وتحرك مقترباً مني ولمس رأسه صدري حيث نام وأنا أفكر كم هو أصغر مني رغم كل شيء . كان ثمة ضوء خافت حول حافة البحر حين استيقظ . كان وجهه شاحباً وكفت أسنانه عن الارتعاد. قال «ماذا حدث؟» قلت له « كنت نائماً . لقد فاتتك » . ثم بدأت أحكي له في وصف تفصيلي كيف رأيت امرأة تجري على الشاطىء وكيف كان ثدياها يهتزان والماء يقطر من رسغيها قال : أنت كذاب .

قلت «نعم » . ثم فكرت في البيت . سألته : ماذا ستفعل ؟ . دعك عينيه بيده ثم نهض وسار صوب البحر . تبعته وأنا أعلم أن البحر سوف يغسل دموعه ودموعي التي قد أذرفها . حين اقترب من الماء بدأ يجري ناشراً الأمواج حول قدميه وجريت أنا أيضاً . حين استطعت أن أراه من خلال الماء المالح كان يضحك بجنون وكأنه يبكي وهو يغمر رأسه في الماء ويرفعه كما يفعل المستحمون . وقفت على قدمي وحاولت أن أجذبه ولكن ملابسه كانت ملتصقة على كل عظمة في جسمه النحيل . ثم أحسست بنفسي وأنا أنزلق مشدوداً من ساقي وسقطت مرة أخرى في الماء وأحسست بذراعين حول خصري كما يتصارع الأولاد . ولكن في رقة هذه المرة ، وأحسست أن جسده ليس صغيراً وهو يلتصق بجسدي . سمعته يقول : « هذه هي الطريقة التي يتبعها العشاق » وأحسست بفمه على رقبتي ولكنني لم أقاوم، كنت أعلم أنه في الماء لا يستطيع أن يرى دموعي أو ابتسامتي .

www.liilas.com
منتديات ليلاس

www.alkottob.com

www.liilas.com

florist

www.alkottob.com